رواية

القميص الأزرق والقلادة

فاطمة الزهراء غيبوب
(عطعوطة)

القميص الأزرق والقلادة

رواية

إشراف:

فاطمة الزهراء غيبوب

(عطعوطة)

الكتاب: القميص الأزرق والقلادة.

النوع: رواية.

تأليف: فاطمة الزهراء غيبوب (عطعوطة).

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي: مكتبة كتوباتي.

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم.

أهلا بك أيها المثقف ..فمن يهتم حتى بقراءة المقدمة، فهو مثقف، ليس مثل بعضهم يقرأ النهاية ليحاول أن يدعي معرفته بتفاصيل الرواية ...استمتعوا مع الأحداث ..

الإهداء

إلى الصديق و الأستاذ الذي وقف بجانبي، إلى كل من لم يتخلى عني، إلى أهلي و عائلتي، و إلى عشاق الروايات. و إلى نفسي التي سهرت الليل لكتابتها و تنقيحها مدة أسابيع متواصلة.

انبلج الصبح و انتفضت ظلمات الليل وظهرت تباشير الصباح في المشرق فضعفت أنوار النجوم وغاب أكثرها، كانت الشمس قد أينعت فأرسلت أشعتها التي راحت تداعب قطرات الندى على أغصان الأشجار العارية، و أشاعت فيه حرارةً وسروراً

خرجت مريم من البيت الذي يصح القول عليه كوخاً أكثر منه بيت .

مريم فتاة في العشرين من عمرها ذات عينان بنيتان واسعتان ويعلهوما رموش كسانبل القمح ...متوسطة القامة متوسطة الوزن ..ببشرة بيضاء.. وشفاه وردية اللون كزهرة في فصل الربيع... وهي فتاة طيبة وبريئة قليلة الكلام و خجولة وهادئة ..تعيش مع شيخ وعجوز كبيران في العمر ..
دخلت إلى بيت صغير بجانب بيتها ..فهناك البقرة التي إعتادت مريم أن تناديها "ليلى" ..كان يلحق بها جروها الصغير الذي هو أيضاً تناديه ب " لولو" فحلبت البقرة وعادت إلى البيت و حضَّرت الفطور ...ثم أيقظت جدها الشيخ سالم فهو رجل حكيم و عاقل لا يهزه كلام أحد وهو طبيب أعشاب ويبلغ من العمر ثمانية و ستون سنة .و زوجته خوخة إمرأة محبوبة بكماء لا تتكلم فقدت القدرة على النطق بعد أن حرق المستعمر الفرنسي قريتها وقتل والدها أمام عينيها فهي الحضن الوحيد لمريم وهي تبلغ من العمر سبعة وستون سنة . عادت مريم لبقرتها ليلى و أخذتها لترعى قليلاً.. ثم حملت الدلو و إتجهت نحو البئر.

وعند وصولها سقط الدلو من يدها وبدأ جروها لولو بالنباح ..
وجدت شاب قوي البنية ساقطاً بجانب البئر ملطخاً بالدماء ملابسه يظهر عليها ملابس باهظة لكن علامات السكين واضحة شعره الأسود يلمع مع أشعة الشمس الدافئة.
ركضت نحو الكوخ عائدة و أنفاسها تتقطع من شدة التوتر و الخوف.. صرخت .
*** جدي سالم ..جدي سالم!**
فتحت الباب ودخلت .
*** جدي ..جدي**
دخلت عليه يتناول فطوره فأخبرته.
*** جدي هناك عند البئر ..هناك رجل مصاب لا أعلم إن كان ميتاً أو حياً.**
سالم قائلاً: يالله يالله..ماذا جاء به في هذا المكان البعيد..(تفاجئ لوجود شخص في هكذا مكان بعيد).
_ إتجه سالم راكضاً مع مريم .
و ما إن وصلا ..تفقد سالم نبض الشاب فوجد دقاته تتباطىء وجروحه مازالت تنزف ..ويكاد أن يتجمد من شدة البرد فليلة لبارحة قد كانت قاسية .
فعلم أنه حي صرخ : مريم أحمليه من قدميه وأنا من صدره هيا ..لنأخذه للبيت

حملاه معاً و أدخلاه في غرفة مريم التي بحد ذاتها غرفة الأعشاب الطبية التي أحضرها سالم من أعالي جبال جرجرة الشاهقة و الواقعة بين البويرة و تيزي وزو وبجاية. ما يميز قمتها التي وجود الثلوج طوال الشتاء .. أرض الخير و البركات..
وضعاه على سرير مريم ثم مزق القميص سالم و أمر زوجته خوخة بتحضير الأعشاب ومريم راحت تسخن الماء ..
نظر سالم إلى الشاب وقال : يا له من الشاب قوي حارب هذه الجراح النازفة مع تلك الليلة الصقيعية .
أحضرت مريم الماء و جلبت خوخة العقاقير و الأعشاب الساخنة، راح سالم ينظف الجروح بروية خوفاً على الشاب، طلب سالم من مريم أن تشعل النار لتدفئة البيت أكثر،
ركضت مريم تلك الطيبة و أحضرت الحطب من غرفة صغيرة شمال بيت البقرة، و أشعلت النار، و أما خوخة راحت تطبخ بعض الحساء الدافئ . معتقدة أنه سيستيقظ و يأكل القليل .
لكنه كان في حالة خطرة، ويصارع الموت .
مرت ساعات عادت مريم و أحضرت البقرة و إتجهت للبيت كان صديقها لولو لا يفارقها .
دخلت وجدت سالم جالساً بجانب النار و خوخة قد أعدت الغداء سألت سالم : كيف حاله هل هو بخير ؟
*** سالم : نعم يا صغيرتي إنه بخير لو تأخرتي الصباح قليلا لمات .**
*** مريم : الحمد لله، أنه بخير . مسكين فالألم لا يطاق، أتسائل كيف تحمل كل تلك الجروح؟.**
_ جلست بجانبهم وتناولت الغداء، ثم إتجهت إلى الغرفة لترى الشاب فدخلت وجدت سالم قد غسل له وجهه من الدماء و ضمد له جروحه البليغة .
_ بقيت تنظر في ملامحه فهذه أول مرة ترى شاباً شكله يدل على أنه من سكان المدينة فغرقت نظراتها بين رموشه وشفتاه ..كم هو وسيم ..فكيف لا وهو شاب قوي البنية وفي السادسة والعشرين من عمره طويل القامة ..راحت تتأمله ..وفكرت في كيف لشخص أن يؤذي هذا الشاب البريء. الملاك النائم ...

ثم خرجت تاركة إياه نائماً ..
مرت ساعات النهار و بدأ الظلام بالقدوم شيئاً فشيء
_ تلبدت الغيوم و بدأت الرعود تقصف مدوية هادرة و البرق يلمع كسيوف من نار تستلها السماء و الرياح تلمع تلسع الأجساد ببردها فتتمايل الأشجار و تتكسر بعض أغصانها فلا تسمع إلا خفيف الأوراق و المياه التي تنهمر غزيرة مدرارة، ساحت دموع رذاذ خفيفاً ما لبثت أن إشتد و قوى فإذا المياه تنهمر غزيرة كأنها تتدفق من أفواه القرب .
أشعل سالم النار وراح يرمي قطع الخشب حتى يحافظ على دفء البيت، كانت خوخة جالسة بجانبه تحيك قميصاً قطنياً لمريم .
_ لوح الظلام في الأفق وشدة الإعصار زادت مع مرور الزمن و تسارع عقارب الساعة بعد تناول العشاء اتجه الكل لفراشه، بقيت مريم بجانب النار بعد أن غطت الشاب و تركته نائماً.
جلست مريم على الكرسي الهزاز ..
بينما هي تفكر فيه في ملامحه، وفي كيف كان حاله، كانت في كل مرة تذهب للإطمئنان عنه .
فتح عيناه قليلا وقال : أمي.. أمي
ركضت إلى الغرفة ودخلت بعد أن فتحت الباب بهدوء ثم جلست بجانبه قالت له : لا تخف أنت بخير، أنت بخير ..(محاولة إطمئنانه ..بصوت هادئ)
_ إحترق قلبها عندما ذكر كلمة أمي ..فدفعتها طيبة قلبها للجلوس بجانبه و أخذت منديلاً و بدأت تجفف العرق الذي كان يتصبب منه كقطرات الندى .
تلمست جبينه وجدت أن حرارته مرتفعة، أخذت القليل من الماء البارد، وضعت قطعة قماش وبللتها ووضعتها على جبينه

بقيت مستيقظة بجانبه طوال ساعات الليل، ثم عادت للمطبخ و أخذت تضع الحطب لتحافظ على دفء البيت .
ومع منتصف الليل

سمعت الشاب ينادي : ماء ...ماء.
* أخذت كأساً و ذهبت إليه وضعت الوسادة وراء رأسه و أخذت تعطيه الماء ثم بللت قطع القماش و تضعها على رأسه ..بقيت بجانبه تعتني به وفي الصباح الباكر توقف المطر عن الإنهمار و أرسلت الشمس اشعتها التي تسللت عبر النافذة لتداعب مريم التي غفت بجانب الشاب ..فتح عيناه ليجدها بجانبه نائمة، نظر لها وتمعن فيها فأسرته رموشها السوداء الطويلة كسنابل القمح وشفتاه الورديتان كزهر متفتح يداعبه نسيم الربيع .. تخشى الفراشات الاقتراب منها خوفاً على إفساد رحيقها..وجهها البريء كطفل صغير نام بين أحضان أمه ..فلا يمكن لأحد أن يوقظها .
* بعد دقائق ولحظات وهو يداعبها بنظراته ثم إلتفت إلى جدران الغرفة التي عُلقت عليها مجموعات من الأعشاب الطبية و كانت الغرفة ممتلئة بأكياس موضوعة في الأرض بها أدوية و عقاقير طبية طبيعية التي كان قد احضرها سالم من قمم الجبال، لمح من النافذة منظر الجبل إنها قمم جرجرة الحبيبة، فهل يبقى مريضاً من يرى ؟! جرجرة ..

فلمحت عيناه تلك المناظر الساحرة .. قطرات الندى على زجاج النافذة، و صوت العصافير و الديك .. مع منظر الأشجار العارية

أشجار الزيتون و البلوط و الصفصاف التي أغصانها تطاولت في السماء كأنها تناجي خالقها من شدة قساوة المناخ، في هذه المنطقة الجبلية الوعرة .
اِستيقظت مريم فوجدت الشاب ينظر من حوله في دهشة من أمره .
* إبتعدت قليلا عنه ثم قالت له : صباح الخير...كيف حالك؟

رد : صباح النور، أنا بخير الحمد الله.(صوت خافت متعب ونظرات عينيه وميضها لا يكاد يرى .. كأنه مخمور).
(رأته محتاراً) قالت له : لا تقلق سأنادي لجدي.فهو من عالجك ..إنك بخير معنا.
*** اتجهت إلى جدها سالم وجدته يصلي الفجر ..وبعد أن أنهى صلاته قال لها: صباح الخير يا صغيرتي .. هل صليتي الفجر ..**
مريم : اخذني نوم مثلك تأخرت على الصلاة سأصلي الآن.
مريم أيضاً: جدي الشاب قد إستيقظ، يبدو بخير .
سالم : حسن سأذهب إليه و أنتي صلي و حضري الفطور مع جدتك .
مريم : حسنا جدي .
صلت مريم صلاة الفجر ودعت للشاب بأن يشفى ..وبعد أن انهت صلاتها اتجهت لبيت البقرة كما اعتادت هي أن تقول ثم حلبت البقرة و عادت للبيت فحضرت الفطور مع خوخة .مطبخ صغير به أواني قليلة وطاولة خشبية تحيط بها كراسي خشبية قام بصنعها سالم . وضعت الفطور .. خوخة لم تفعل الكثير سوى طهي بعض الشطائر التي تحبها مريم ..
و أشعلت النار لتدفئة البيت.

*** ذهب سالم للشاب : صباح الخير يا ولدي ..كيف صحتك اليوم؟؟**
*** أنا بخير يا عم .. الحمد لله.. شكرا لكم انقذتم حياتي .**
*** سالم : أشكر ابنتي مريم هي من وجدتك و اعتنت بك ..أنا عالجت جراحك فعلى الرحب و السعة يا بني فنحن أبناء أرض واحدة و نحن بشر نساند بعضنا .**
*** سالم : بالمناسبة يا ولدي اسمي سالم ..أعيش هنا مع مريم صغيرتي، و زوجتي خوخة ..إنها بكماء لذلك لا تنزعج اذا كلمتها ولم تجب ..يجب أن تتذكر ذلك.**
فما اسمك يا ولدي.
*** أنا : اسمي أمير يا عم .**
*** تشرفت بك يا ولدي .**
بعد أن طُبخ الفطور أخذت خوخة الفطور للشاب ...دخلت خوخة عليهم .
*** سالم : ها هي زوجتي خوخة . رفيقة دربي .**
ابتسم أمير و قال : مرحباً خالتي، كيف حالك؟
*** ابتسمت خوخة و حركت رأسها معبرة عن حالها أنها بخير ثم وضعت الفطور وعادت للمطبخ . أما**
مريم خرجت ولحق بها جروها "لولو" و أخرجت البقرة ثم راحت تتجول ما بين الشجيرات محتارة في أمر الشاب .
*** أعطى سالم بعض الملابس للشاب و غير ضمادات الجروح للشاب و أعطاه أعشاباً دافئة و امره بالبقاء مستلقياً، ثم ذهب سالم لإعداد وصفات الأعشاب للزبائن و خوخة أخذت تكمل حياكة القميص لمريم.**
_ مر اليوم على أمير ذلك الشاب المصاب وهو يفكر كيف يعود لبيته..وما حدث معه .كان يوماً طويلاً بالنسبة له . فهو ببيت لا يعرف طباع أهله .. السويعات تمر راكضة و تنقضي بدون عودة .. وكل لحظة نحاول إهدارها هي ضياع من فرص الحياة، بدأ الطقس يتغير .. فعادت مريم للبيت بعد أن أدخلت بقرتها و ربطتها .. و أغلقت عليها الباب ..
ودعت الشمس الجبل وسقط الظلام إجتمعوا على طاولة العشاء ..بعد أن اعدت خوخة حساء الدجاج..الذي قام بذبحه و تنظيفه سالم ..فهو يعلم أن مريضه يجب أن يتناول طعاما بروتيني وصحي .

*** أخذت مريم الطعام للشاب، لكنه لم يستطع أن يأكل بمفرده، فهو لا يقوى حتى على رفع يديه، فقد الكثير من دمه و فقد الكثير من روحه فآلام قلبه ظاهرة على ملامحه الكئيبة التي يصرخ الحجر من حزنها...فكرت مريم في إطعامه ، ثم تراجعت، رأته يحاول أن يمسك الملعقة لكنه يتألم،**
فأخذت الملعقة و بدأت بإطعامه

كانت تتجنب النظر في عينيه
وعندما أكملت إطعامه، همت بالخروج، مسكها من يدها، نظرت إليه وإرتعشت من خوفها و توترها، قال لها : شكراً لكي آنستي مريم .
*** قالت : العفو ..العفو .**
سحبت يدها وخرجت .
عادت مريم للمطبخ و أشعلت التلفاز ..كان سالم جالس على الكرسي الهزار و ينظر لدفتر زبائنه.. وطلباتهم .
خوخة كعادتها واضعة نظراتها وجالسة هي أيضاً بجانب النار وتحيك قميصاً أزرق .
.الجرو "لولو" نائماً عند قدما مريم التي جلست على البساط تشاهد التلفاز

بدأ بث الخبر : أمير عبد الله وريث رجل الأعمال الراحل كمال عبد الله، مختفي منذ يومين بعد وفاة أمه بيوم .
***مريم: جدي أليس هو الشاب نفسه .**
وضع سالم دفتره وقال : يا الله إنه هو بحد ذاته .
نظرت خوخة بدهشة . كأنها تحاول النطق بأنه هو، لكن كلماتها و صوتها الذي أبى أن يرتفع قد خانها .
كيف لشاب ثري ومشهور أن يصل لهذا المكان ويرمى بهذه الطريقة على قمة جبل مهجورة .؟.

مرت ساعات، وهم يشاهدون الأخبار عن ذلك الشاب المدعو أمير ... الوريث الوحيد لرجل الأعمال، كانت الأخبار تبث رجلا أشيب الرأس قوي البنية يدعى مسعود معه شاب وسيم قليلا مرتديان ملابس سوداء .. يصرحان بخوفهما عليه ... قالت مريم لسالم :
جدي يجب أن نخبر أهله عنه .
نظر لها وقال : لا لن أفعل .. لا أريد أن يأتي أحداً لبيتي .. هيا أطفئي التلفاز و نامي فخوخة قد غفت وهي تحيك.
ذهب سالم و خوخة لغرفتهم بعد أن أيقضها ..وبقيت مريم جالسة على الأرض ...ثم أخذت مكان سالم وجلست على الكرسي الهزاز ...
أوى الكل لفراشه..أما مريم فغفت على الكرسي ..فغرفتها أخذها أمير.
_ تلبدت الغيوم و أصبحت كتلة واحدة.و بدأ الثلج يتساقط كغزل البنات..
وبعد ليلة مثلجة صعدت الشمس الهافتة، و غطت الثلوج الأراضي و قمم الجبال، كبساط أبيض، إستيقظت مريم كعادتها، صلت و اعدت الفطور ..و أيقظت سالم و خوخة ..و تطمأنت على الشاب وجدته نائماً فلم تزعجه، خرجت مسرعة ولحق بها جروها لولو
فوجدت الثلج كبساط فُرش على الأرض ، راحت تركض بين الشجيرات .. لحق بها سالم فهو يعلم أنها تعشق الثلج .
أما خوخة أخذت كرسي ووضعته عند الباب وراحت تنظر لمريم وتبتسم ..وتضع لمساتها الأخيرة للقميص.

بدأت مريم بتكوين كرات ثلجية و ترميها على سالم ..
علت ضحكات مريم ..ونباح جروها ..إستيقظ أمير على ألحان صوتها الممزوجة بضحكات رنانة.. لم يقاوم أمير صوتها فهو يعلم كيف كان وجهها كالبدر مشعاً ..نزل من السرير و إتجه نحو النافذة بخطوات تعِبةؤ ثم جلس على الكرسي الذي إعتادت مريم الجلوس عليه لمراقبة قمم الجبال و الطبيعة، ثم راح يراقبها وهي تركض في كل مكان و تمسك الثلج وتصنع منه كرات لترميها على جدها سالم .
اتجهت مريم و إختبأت خلف الشجرة و عندما اقترب جدها لضربها بكرات الثلج ركضت مسرعة فعلق وشاحها الذي كان على رأسها بغصن الشجرة ..وركضت تاركة إياه وراءها إنسدل شعرها الطويل على كتفيها..وراح يداعبه النسيم البارد، ركضت بعيداً عن سالم و بدأت تدور بدأ فستانها الطويل القديم يشكل حلقة حولها، فستانها المزركش .. تدوس على الثلج بحذائها البلاستيكي ..وبينما هي تدور وشعرها يتطاير معها، إلتفت نحو النافذة فرأت أمير، توقفت عن الركض و عادت لتضع وشاحها على رأسها، نظر إليها سالم متوترة ..اتجهت مريم نحو خوخة ..توقفت عن اللعب بكرات الثلج التي هي لعبتها المفضلة. وتوقفت عن الركض و الدوران .
_ كانت تلك اللحظات بالنسبة لأمير لحظات خطفت دقات قلبه منه ..كانت كملاك بريء ..ضحكاتها و خطواتها ..كل شيء ..خطف أنظاره.
أما مريم فقد أحست بتوتر و خجل لأول مرة ينتابها هكذا شعور .
* عاد الكل للبيت لتحضير الغداء ..وعاد أمير الى سريره.
كانت مريم طوال اليوم صامتة من شدة الخجل و التوتر فلأول مرة ترى شاب ينظر لها هكذا.
فقد اعتادت على العيش بعيداً، عن سكان الريف .

أما سالم فقد أطعم البقرة ..وعاد ليطمئن عن أمير.. أكملت خوخة القميص و ألبسته لمريمقميص أرزق زين بفراشة وردية ..فقد إعتاد سالم مناداة مريم بفراشتي ..
مر اليوم كأنه لم يكن إعتنى سالم بجراح أمير و لم يستطع أحد الخروج من البيت ..طوال اليوم يشعلون النار و ماكثين بالبيت ..ففي الخارج

طقس قاسٍ ..عاد الظلام ليخيم من جديد.. طبخت مريم العشاء وأخذت العشاء لأمير
.. دخلت تحمل العشاء فوجدته مستلقي على سريره.
قالت له : تفضل عشائك سيد أمير .
نظر لها : كيف تعرفين اسمي .
ابتسمت وقالت: لقد رأيتك تظهر في الأخبار فكل قنوات الجزائر تتكلم عنك . انا اسفة لما حدث مع أمك...تقدمت وحاولت اطعامه لكنه رفض الأكل..وقال لها : أرجوكي أخرجي و اتركيني لوحدي ..
مريم : آسفة لم اقصد تذكيرك بأمك.
صرخ عنها : قلت أخرجي ..
ثم وضعت الصحن وخرجت تركض، مرت ساعات ومريم جالسة بجانب الموقد وتفكر لاحظ سالم ذلك، فعرف أن أمير به خطب ما ..دخل إليه فوجده نائماً ودموعه على خديه احتار منه سالم، فنظر إلى الطبق وجده كما هو لم يأكل منه شيئاً. عاد سالم للمطبخ و سأل مريم ما خطب الشاب؟ ماذا قلتي له ؟.
*مريم : قلت له أن اسمه أمير وان امه ماتت .لابد أنه تذكر أمه.
* سالم : يا بنيتي ما كان عليكي قول ذلك له كما سمعتي مر على موت أمه إلا أيام قليلة فقط وهو مختفي لابد أنه مر بحوادث كثيرة فهو الآن تحت ضغط نفسي.. سيعود لبيته بعد أن يشفى .اعتذري منه صباحاً.. تصبحين على خير.
اخذ الغطاء و غطاها بينما هي جالسة على الكرسي الهزاز..
لم تتفوه مريم بكلمة احست بغلطتها..
.مرت ساعات ولم تنم، دخلت للغرفة حيث أمير نائم وجدته قد إستيقظ .. وجالس على الكرسي الذي بجانب النافذة، وكان قد فتح الشبابيك ..ركضت نحوه وأغلقت الشباك قائلة: أمير هذا لا يجوز فأنت مريض ويجب أن تعود لسريرك، فجروحك سوف توجعك أكثر. بينما هي تحاول ايقافه و إعادته إلى سريره. مسك يدها وقال: ألم جروحي لن يضاهي الألم الذي بداخلي

نزعت مريم القميص و ألبسته له قائلة: سألبسك اياه فأنا ألبس الكثير من الملابس..
(وهي تشعر بحزن لأجله) أمير انا اسمعك .
*** أمير : توفي أبي عندما كان عمري ستة عشرة عاماً وجد مقتولاً في مكتبه لكن لم نجد الفاعل . قالت الشرطة انه انتحر ..وبعد سنة. تزوجت أمي سيد مسعود الذي كان رئيس اعمال والدي ..و لديه طفل بسني لكني لم أحبه يوماً فهو شاب كثير المشاكل و يظهر للناس انه نموذج الأخلاق اسمه مصطفى.. أما مسعود يا مريم فقد كان يضرب أمي حاولت إخفاء الأمر عني لكنني كنت اكتشف ذلك ودائماً يحاول أن يجعل ابنه يسيطر على كل شيء بيتنا و أموالنا.فمرة كانت أمي ذاهبة لمكتب مسعود لتقول له إنها اتخذت قرار الطلاق بعدما اقنعتها انا، سمعته يخطط مع ابنه لقتلي حتى تصبح أمي وحيدة وتتراجع عن الطلاق .لكنها سمعت كل شيء ..فتشاجرت معه وحاولت الإتصال بالشرطة.. لكنه خنقها ووضعها في السيارة ودفع السيارة من الجرف و إدعى أن الأمر حادث لكن الشرطة العلمية أخبرتني أنها ماتت خنقاً..بعد الجنازة عدت للبيت فهاجمت مسعود لكن إبنه طعنني من الخلف و خطفاني و عذباني .. و أكبر عذاب عندما أخبراني كيف عانت أمي وهي تموت ..قال انه سيقتلني ويرميني ثم بعد مدة يحضر جثتي ليخبر الناس أني انتحرت بسبب صدمة فقدان أمي.**

مريم (وهي تحت الصدمة كيف لهؤلاء البشر أن يفعلوا كل هذا بشاب لم يؤذي أحداً) قالت : لكن الحمدلله أنك بخير ... فأنا ايضاً فقدت أمي ..رباني سالم و خوخة .صدقني لا شيء سيدوم لهم، سيأتي اليوم الذي يتجرعون فيه من نفس الكأس الذي جعلوك تتجرعه .. الحياة كلعبة الرهان مرة تفوز و مرة تخسر ... الفوز لا يدوم و الخسارة لا تدوم .. أنا و جدي و خوخة كلنا بجانبك .ابستمت في وجهه
حسنا يا سيد أمير يجب أن تتناول عشائك فقد برد .
أمير : شكراً لكي، على سماعي لقد إرتحت .. هممم العشاء .. حسنٌ ..
اتجهت مريم للمطبخ و سخنت الأكل و أحضرته لأمير ..بعد أن أعادته للسرير و غطته جيداً..تناول أمير عشائه وغفى .

بزغ الصبح ..وعلت على مسامعه صياح الديك و صوت البقرة .. مع نباح الجرو..
فأحس أن حالته متحسنة فنظر من النافذة فوجد الشمس تداعب الجبل و الأشجار. والثلوج بدأت بالتراجع ..تذوب شيئاً فشيء..
. غادر سريره و اتجه إلى المطبخ..وجد مريم جالسة بجانب خوخة يتناولان الفطور..جلس معهم ..فسكبت له مريم القهوة و أعطته فطوره .
*** أمير : صباح الخير .**
*** مريم: صباح النور.**
اومأت خوخة برأسها مبتسمة. نظرت إلى أمير يرتدي القميص الأزرق الذي أحاكته مدة طويلة ..ففي العادة مريم لا تسمح في أشيائها ببساطة .. أحست بطيبة قلب طفلتها مريم .. تكلمت في ذاتها ..آآآه يا صغيرتي يا ليت أمك حية لتراكي كم أصبحتي لطيفة و طيبة .. وجميلة كزهرة برية تنتظر من يعشقها، فيسقيها ..
نظر أمير لمريم أمعن نظراته فيها .. عندما أحس أن خوخة تراقبه .. تكلم بصوت هادئ محاولا إخفاء توتره .
*** أمير : أين سالم يا مريم .**
*** مريم : لقد غادر متجهاً لأسفل الجبل نحو الضيعة..فقد أخذ العقاقير لأصحابها**

بعد تناول الفطور خرجت مريم ..واخرجت بقرتها "ليلى"كما اسمتها مريم.فالثلوج قد ذابت .. يجب إخراج البقرة قليلاً...أما خوخة بقيت بالبيت ..لم يتحمل أمير البقاء في البيت فخرج و لحق بمريم تاركاً خوخة بالبيت و الجرو نائماً.وصل إليها ..قال لها : مريم شكراً لكي لأنكي سمعتني ليلة البارحة .

مريم : لابأس ..هذا أمر عودني عليه جدي سالم .

حاول أن يشبع من صوتها و من لفت إنتباهها بالكلام معه

أمير : المكان بعيد جداً عن الحضارة كيف تعيشون هنا .. ما الدافع لذلك ؟

مريم : هاهاها أعتقد أن الدافع لكي نعيش هنا و نجدك.

أمير : أعتقد ذلك .

أميرة مرة أخرى: مريم هل تجدين الكتابة ..هل إلتحقتي بالمدرسة .

مريم: لا .. فنحن نعيش بعيداً عن المدينة وهنا في الضيعة توجد مدرسة واحدة لكن جدي لا يدعني أذهب فهو يخاف عني .. كما وعد أمي أن يحميني

..لكن علمني القرآن الكريم و الصلاة في وقتها والحمد لله.

أمير : الحمد لله..(ثم قال لها وهو يحاول إطالة الكلام معها) ماذا حدث لخوخة؟

مريم : إنها قصة طويلة أتذهب في جولة معي أدلك على بيت البقرة و بيتنا الصغير للحطب حتى لا يبلله مطر الشتاء..

أمير : بالطبع !

* وبينما هما يتجولان

إذ بها تسمع صوت السيارات ..ألقت نظرة وجدت الرجال ينزلون وحيطون بالبيت ..قال أمير : إنه مسعود جاء البحث عني لابد أنه عاد ولم يجدني..
_ مريم بنظرات الخوف على أمير .. : تعال إبقى هنا في بيت الحطب ..سأذهب لهم..
* أمير: لا تذهبي سوف يؤذيك ..
مريم : لن يفعل لي شيئاً...
أوصدت الباب عليه و إتجهت مسرعة نحو البيت ..إذ برجل أشيب الرأس خمسيني ينزل من السيارة يحمل سيجارة بين أصابعه ..ثم أخذ يدخن ..وعندما إقتربت نظرت لوجهه نفسه الرجل مسعود الذي ظهر بالأخبار ..
صرخت مريم : هاي ..من أنتم ماذا تريدون من عندنا .
حاولت مريم الدخول مسكها أحد الرجال من يدها ..وسحبها نحو مسعود ..كانت مريم تصرخ اتركني أيها القذر لا تلمسني..
مسعود: مرحباً يا صغيرة ..أين هو الشاب ..
مريم بنظرات فولاذية: عن اي شاب تتكلم؟...لم أره ...تباً لكم..
_ سمعت خوخة صراخ مريم فخرجت مسرعة ..رأت مسعود واقفاً بجانب مريم التي كان يمسكها احد الرجال..نظرت لوجهه..فتذكرته .. قبل عشرين عاماً..وضعت غطاءًا .على وجهها .وخرجت تركض..نحو .مريم..
كانت مريم ..تصرخ في وجه مسعود ..
* شعر بالإنزعاج من صراخها ..قال : اسكتي أفضل لكي.
مريم : لن أصمت ..ارحلوا .من أرضنا ..فإن أردت اسكاتي يجب ان تجبرني.
صرخ : قلت أصمتي .
ثم وجه لكمة لها ..
فاوقعتها مغمى عليها ..ركضت خوخة وجلست بجانبها ..وراحت تضمها ..كان الجرو الصغير "لولو "..ينبح كثيراً..فهم غرباء ..اخرج مسعود مسدسه ووجه صوب الجرو و أطلق النار بدون رحمة ..فسقط الجرو ميتاً..قال مسعود: كأنه ليس بريف فكل شيء صاخب ويزعجني.

دخل رجاله و إجتاحوا المنزل و حطموا كل شيء به ..فوجدوا ضمادات بها دم و قميص ممزق..بحاوية القمامة التي تحرقها مريم كل نهاية أسبوع
قال مسعود لأحد رجاله : لابد أنها تعود لأمير ..تأكدوا أكثر.
وبعد لحظات من التحطيم خرج رجل ..وقال : سيدي قد تكون لرجل آخر فقد وجدنا أعشاباً وعقاقير لابد أنه طبيب ..
مسعود : لا ..لابد أنه أمير ..و يختبىء في مكان ما في البيت....

بعد لحظات قليلة.أمر مسعود رجاله بحرق البيت..فأسكبوا البنزين في كل أرجاء البيت ..مسك مسعود قداحة ورمايها فوق البنزين لتركض النيران بدون رحمة و تشتعل في كل أرجاء البيت ..
ثم ركب هو و رجاله و تركوا المكان .
_ إستيقظت مريم، ثم نظرت إلى البيت وجدته قد أصبح رماداً، ثم نظرت إلى جروها "لولو" كان جرواً صغيراً.. بدأت بالصراخ : لا ..لا لولو صغيري ..
_ كانت الدماء تغطيه، و البيت لم يبقى منه إلى رماد و دخان ..فبيتها الخشبي قد إحترق.
_ خرج أمير بعد أن غادروا، ووجد مريم تصرخ و تبكي على جروها، وبيتها الذي حمل بين جدرانه الخشبية ذكريات الطفولة وضحكاتها .
كانت خوخة تضمها و تحاول تهدئتها .
_ بقي أمير واقفاً ينظر لها وهي تتألم لفقدان جروها وبيتها..ما هي إلا لحظات حتى عاد سالم من أسفل الجبل يحمل أغراضاً، وطعاماً، عندما وصل تفاجئ مما رآه، البيت لم يبقى منه إلا الدخان المتصاعد وبعض قطع الجمر الحارقة ..لقد اختفى كل شيء بالبيت ..ورأى جرو مريم ميتاً..
_ إقترب الرجل الحكيم وجلس بجانب مريم بعد أن وضع الأغراض..إنحنت مريم برأسها على كتف سالم ووضع يده على وجهها .. قائلاً: الحمدلله يارب..أنكم بخير، كل شيء يعوض إلا فقدان الأحبة .. فالبيت يبنى .. والجرو نحظر غيره ..مريم يا إبنتي أنتي و خوخة بيتي و عالمي ..لا تحزني يا صغيرتي ..إن الله سيعوضنا.
بعد هذه الكلمات التي تشع إيماناً
هدأت مريم قليلاً.
جلس أمير بجانب سالم و قال : كل هذا بسببي يا عم سالم .
نظر له سالم و إبتسم : لا تقول هكذا كلام ..فقد كان مقدراً لنا كل شيء حدث .. فالحمد لله يا ولدي على كل شيء.
_ هدأ المكان قليلاً وراحت الغيوم تتلبد و بدأ الرعد يدوي فيتكرر صداه بين جروف و خنادق الجبل ..معلناً عن غضبه .. بدأت قطرات المطر الباردة تتنازل .. فحملت مريم التي عم الصمت عليها ..الأغراض و

أدخلتهم لحضيرة البقرة جلس الكل داخل الحضيرة ..كان أمير يتقرف من المكان ..فلم يجلس يوماً بجانب بقرة .. كان طوال حياته يكره الريف و أهله .. فهو يعتبر أن سكان الريف همجيين و معنفين و ناس أُميين ..

لكن طيبة و إيمان سالم جعلته محتارًا من تلك القوة التي يحملها سالم في قلبه ..رأى طيبة مريم حتى في جرو صغير ..بينما هناك ناس مثل مسعود تقتل البشر و لا تفكر في مقدار الألم الذي شعروا به قبل مغادرة الحياة .

_ أمير يجلس على الكرسي الصغير الذي إعتادت مريم الجلوس عليه لتحلب البقرة ..لكن خوخة وسالم جالسان على القش ..مريم إتجهت بخطوات الخيبة لتمشط للبقرة وهي تقول: عزيزتي ليلى لقد خسرنا بيتنا ..فاليوم سننام معكي يا صغيرتي .. و يؤسفني أن أقول لكي يا عزيزتي أن "لولو" قد مات ..قتله رجل لا يعرف الرحمة .

تناثرت دموعها . وصمتت .

_ إرتفعت درجة الحرارة لخوخة، ثم أغميَ عنها .. راح سالم ينادي : خوخة .. خوخة عزيزتي ما بكي ..

أسرعت مريم نحوها وجلست على ركبتيها . ووضعت رأس خوخة على فخذيها ..

_ سالم : مريم خوخة متعبة يا بنتي يجب أن نغطيها جيداً .. أحضري الأغراض فقد أحضرت بعض الطعام الذي تحبه خوخة .

* حمل أمير الأغراض و أعطاها له .

_ حاول سالم إطعام خوخة لكنها لم تفق حتى .. إشتدت العاصفة .. و مرت ساعات الليل الطويلة .. لم تنم مريم طوال ليل فهي تنتظر استقاظ خوخة .. أمير أيضًا لم ينم فهو ليس معتاداً على النوم في هكذا مكان ..و كان يفكر في كيف يعوض مريم و أهلها ..سالم نام قليلا فقد عانى من يومه الصعب ..فالريف بعيد وهو لا يملك ما يوصله ..

اشرقت الشمس مرحبة بالأفق .. و استيقظ الكل .بعد أن كانوا مستيقظين بقلوبهم و تفكيرهم ...كم هو مؤلم الليل و الطويل على من يعاني في صمت

تفقد سالم زوجته خوخة وجد حالتها تزداد سوءاً عيناها غارت و الحمى احمرت لها وجنتاها، تلمس جبينها الذي ملأته تجاعيد حاكية على سنين الحياة ورفقة سالم لها، ذلك الجبين الذي لطالما قبله سالم إذا انزعجت حبيبة قلبه،

_ مريم لم تنم طوال الليل لكنها غفت مع تباشير الصباح فقد تجلى التعب و الحزن على عينيها التي ملأت حوافها رموش كثيفة كأنها بنيان مرصوص ،

لبس سالم حذائه الجلدي الذي يحوي ثقوب يمر من خلالها خيط طويل أسود، ربطه بأصابع يداه الخشينتين، مع إرتعاشة الكبر، ثم إرتدى معطفاً لا لون له قديم مع ياقة حوافها متمزقة دالة على قدمها، وضع قبعته التي نسجت من خيوط بنية وبرة، بيدا خوخة أُبدعت، وقف بصعوبة فمع تقدم الكبر و آلام الظهر ليست بهينة، تنهد تنهيدة شخص يحاول إقناع نفسه بفرحة مستحيلة، رآه أمير يتقدم نحو الباب بخطوات ثقيلة تحمل الخوف من الفقدان،

_ عمي سالم، إلى أين تذهب ؟؟!

_ يا بني إني متجه إلى أسفل الجبل، فلعلي أجد إبن حلال يأتي برفقتي لأخذ خوخة للطبيب.

أمير وهو يتحسر على حال سالم ذلك الهرم الذي طالما وضع يداه على جروحه لكي يشفيها .

_ عمي سالم أنا ذاهب بدلاً عنك . سأعود بأقصى سرعة (.محاولا طمأنة سالم .)

سالم ينظر بنظرات الفجأة، ثم أقرن حاجباه اللذين بهما عدد قليل من الشيب، رفع يده رافضاً ذلك ،

_ يا بني إنك لم تشفى بعد، إبقى هنا و إعتني بمريم و خوخة .

وقف أمير بعد أن كان متكئاً على جدار الحضيرة، ذلك الجدار الذي تظهر طوباته

متراصة فوق بعضها البعض بلونها الأحمر القرميدي .تقدم بخطوات هادئة ..مسك يدا سالم واعداً إياه انه سيذهب و يحاول القدوم بسرعة، محاولا ايجاد يد المساعدة ،
.. إنطلق أمير بعد أن نجح في دمغ الحجج التي راحت تداعب قلب سالم لتطمئنه ..إتجه أمير نازلا مع طريق رقيق يظهر عليه أثر أقدام سالم التي راحت تجول هذه المنطقة مدة عشرين سنة ، مرت ساعة على مشي أمير، إذا يلتقي برجال يلبسون ملابس بسيطة لا لون لها يظهر عليهم التعب و الإرهاق من مشقات الحياة، كانت الصخور على حواف الطريق و نسيم بارد يخترق العظام و غيوم بيضاء كبيرة تتجول في السماء و الشمس كانت مثل الفتاة الخجولة التي تداعب عاشقها بنظرات خجولة تارة تحتجب وراء السحب و تارة أخرى تظهر لتداعب أجساد سكان الريف الفقراء .
وصل أمير إلى الرجال فلوح بيداه الناعمتين اللتين تدلان على عدم عمل أي عمل شاق، ..
_ السلام عليكم .
_ السلام والرحمة يا أخي (بصوت هادئ و طيب رد الرجلان).
_ هل أجد عندكم سيارة أو أي وسيلة توصيل فلي عمتي مريضة على بعد ساعة مشي ..
_ رد أحدهم مبتسماً بوجه بشوش على وجهه شوارب سوداء يظهر عليه رجل اربعيني .نحيف الجسم متوسط القامة ..
نعم يا أخي (رد وهو يبتسم)
_ شكرا لك يا أخي جزاك الله خيراً.
رد الرجل لابأس يا اخي ..إنتضرني هنا مع أخي سأعود بالسيارة .
جلس أمير على صخرة بحافة الطريق فنظر بإتجاه قمة جرجرة لينظر الى قمة لالة خديجة التي زينتها الثلوج التي لا تذوب أغلب أيام الشتاء و الربيع ..لكن البيت لم يظهر في منحدر القمة فقد كانت الجروف وبعض أشجار تظهر كوشاح أخضر سقط من خديجة أم فاطمة نسومر أيام الاستعمار..
جلس بجانبه الرجل الاخر الذي كان أصلعاً وقصير القامة مرتديا ملابس كثيفة بالية لعلها تحميه من برد الشتاء ،

_ أخي إن سيارتنا قديمة قليلاً سيتأخر اصبر ارجوك .كلماته كانت طيبة تدل على لطف أهل الريف ..فهل كلهم هكذا ؟
*** وصلت السيارة البيضاء من نوع مازدا صابونة 626 موديل 1998..كان طلائها قديم تظهر عليه نتوئات قليلة على حوافها خاصة بجانب العجلات الأمامية يظهر انه تم خدشها بسبب الحجارة و الأشجار .**
ركب أمير برفقة الرجل ..و تركوا الاخر بجانب بقراته يرعاهم.
وصلت السيارة على بعد مسافه لأنه كلما اتجهت للأعلى صعبت الطريق بسبب الحجارة المدببة و بقايا جذوع الأشجار التي فارقت الحياة اتجه أمير يركض إلى ناحية الحضيرة فلم يسمع إلا بكاء مريم .. وأنين سالم، فعلم أن خوخة قد فارقت الحياة

دخل أمير بخطوات الحزن و الشجن، جلس بجانب سالم الذي كان جالسا عند رأس خوخة، كانت مريم قد غطتها بوشاحها الذي طالما لبسته على خصرها ..كباقي القبائليات.. كانت مريم تبكي بحرقة ابتلت رموشها احمرت خداها و أنفها.. يداها ترتعيشان وصوتها بنبرات بها بحة من شدة البكاء ..

كان سالم يشتعل حزنا لفراق رفيقة دربه .. لحيته البيضاء غسلها دمعه الغزير ..عيناه الزرقوتان اللتين غارتا من الكبر وحاجباه مالا بنهايتهما لتلتف حولهما التجاعيد معلنة عن كبره ..و أنفه الذي أصبح حجمه أكبر بسبب ضمور وجهه .. نزع قبعته وراح يداعبها بين يديه و يتلمسها متخيلا لمسات يدا خوخة اللتين كانتا حريرا في. صغرها و أصبحتا تملأهما النمش والبقع الداكنه.. التي انسحب منها الجمال و الرشاقة لتنحني على عكاز فهي كانت مريضة بالقلب و زاد عنها الكبر و مشقة الحياة و الفقر المقمع ..صاحبة الجسد المتوسط فهي لم تكن يوما آمرأة بدينة او نحيفة

..متخيلاً عيناها الواسعتان كعينا الريم التي تغزل بيهما كل شعراء العرب

بعد يومين من وفاة خوخة ودفنها عند جانب قبر آخر..كانت مريم كل صباح لتذهب و تجلس بجانب القبرين و تسرح بخيالها مداعبة كل ذكرى تلك المرأة الطاعنة في السن .. تداعب ذكرياتها في أرشيف الطفولة ..متخيلة تلك الأيام التي كانت فيها تفسد عقاقير الشيح و الإكليل الجبلي و العرعار وغيرها من عقاقير الطب ..فيأتي سالم غاضباً ليصرخ عنها .. فترتمي خلف ظهر خوخة .. فتمنعه من لمس مريم حتى ..رغم أن سالم لم يحاول يوما ضربها جل ما كان يعاقب به مريم هو أمرها بإعادة ترتيب العقاقير و ربط حزم الأوراق كأوراق الرند او أوراق الزيتون.

فسالم أحب مريم حب الأب و الجد لها ..لكنه يحاول تأديب تلك الشقية التي كانت صغيرة لا تعرف شيء ..

ثم تستفيق من كل تلك الذكرى لتعود إلى البيت مارة بقبر جروها لولو الذي اعتادت على ركضه ورائها و نباحه ..فهو جرو صغير من سلالة جيرمان السوداء و النحاسية بحواف رقبته ..

..ثم بعد ساعات التأمل و التفكير تعود لتجلس على الكرسي الذي اعتادت أن تجلس عليه لتحلب البقرة و تشعل النار خارج الحضيرة لتتدفأ فهي تخاف على ليلى من الإختناق ..لم يبقى أي شيء يملكونه سوى المولد الذي اعتادو على تشغليه لإنارة البيت و مشاهدة التلفاز ..او البقرة ليلى التي لطالما شربوا حليبها الذي يحميهم من سخط البرد القاسح..

كان أمير دائم النظر لها ويراقبها من بعيد محاولا التخفيف عن ألمها الذي راح ضحيته قلبها العشريني البريء ..فالمعروف على بنات الريف أن قلوبهم تبقى بريئة طوال العمر فليس لهم أعداء ولا يحلمون الحقد لأحد فقد نشأوا بين هدوء الطبيعة وزقزقة العصافير وخرير مياه الأودية و السواقي ..مع قطرات الندى التي تداعب أعينهن أشعة الشمس المنعكسة عنها..

لم يستطع الإقتراب من نار حزنها خائفا أن يشعل قلبها ..لكنها كانت تعلم بأمره فهو دائم النظر لها بنظرات الشغف و الدفء و العاطفة التي غزت مشاعرها لتشعر بحنان نظراته البعيدة لها و القريبة من مشاعرها النازفة .

فقد ميزها بنظرات قلبه قبل عيناه ..ليشعر في بسماتها الجافة بعد موت حضنها الدافئ، بأنها هي ملكة قلبه وصاحبة القميص الأزرق الذي يحمل عطرها .. فكان يسرح بين لمسات يده على صدره متحسسا لطافة القميص الذي حاكته لها الفقيدة ..ليستمتع باللمسات متخيلا لمسات شفتاها البريئتان اللتان لم يلمسهما بشر من قبل أو جان.
لم تحاول إظهار توترها او رغبتها في أن يجلس بجانبها فيضع يداه الناعمتان اللتين بدأتا تجف من معاناة الريف على كتفها الذي يرغب وبشدة في لمسة يدا ذلك الشاب الذي اكتفى بالنظر لها وهو متكئا على احدى الشجيرات العالية العارية واضعا يداه في جيوب سرواله الاسود القصير على كوعاه ..فهو سروال سالم ذلك الرجل العجوز الذي ليس بطويل ..مرتديا حذاءا جلديا كان قد أعطاه اياه مع السروال بعد أن وجده كطائر جريح .
*** سالم كان يكتفي هو أيضا الجلوس بجانب مريم عند القبرين محدثا حبيبة قلبه عن الفراغ الذي يشعر به بعد غيابها ..**

مر يومان على رحيل خوخة ..كانت مريم كعادتها تذهب و تجلس عند القبرين ..لكن هذه المرة لم تطل الجلوس عندهم .. فقد تركت سالم جالساً وحده و إتجهت نحو الحضيرة .
جلس أمير بجانب سالم بعد أن استأذن وراح يكلمه ..
_ عمي سالم بعد مرور أيام و أنا معكم وخاصة بعد وفاة المرحومة ..لاحظت مريم تجلس هنا معك ..القبر الثاني اعرف أنه يعود لخوخة لكن القبر القديم هذا لمن يعود يا عم ..(كلماته بصوت متردد خائفا من ردة فعل سالم)
سالم مبتسماً بعد أيام عجاف هاهو يرسم ابتسامة كغيث ينزل على أرض صحراء جافة ..لعل هذه القطرات القليلة تعيد الحياة ..لقلبه الذي على به صخب الحزن و الشجن الموقر
_ هذا القبر لصاحبته قصة طويلة و حزينة يا ولدي (بصوت مبحوح و يحمل ألماً يطفوا عليه)
ثم تنهد تنهيدة عميقة كأنه يحاول سحب النسيم البارد لعله يخفض حرارة جمر المعانات التي بداخله .
_ قبل عشرين عاماً، كنت أنا و محبوبتي خوخة نعيش في بيت في منتصف الضيعة بجانب السكان الذين عشنا معهم عشرة سنين في ليلة ممطرة دق الباب في منتصف الليل. أسرعت لفتحه، إذ بها فتاة عشرينية ترتدي حجابا أسود و وشاحاً بني على رأسها، و الأمطار كانت قد غسلتها، شفتاها زرقوتان من شدة البرد و ترتعش، فسمحت لها بالدخول .. ثم زوجتي خوخة صاحبة القلب الطيب، أدخلتها بإحدى الغرف و أعطتها ملابس جافة، و بقيت عندنا حتى الصباح أخبرتنا أنها كانت متزوجة من رجل يمارس مهنة التجارة بالممنوعات و يعذب الناس الأبرياء بالسكين تاركاً اياهم ينزفون وهو مستمتع بالمظهر مدعياً أن الأمر يشعره بحال أفضل، فهربت منه لأنها تعلم أنه سوف يقتلها اذا علم أنها هي من أخبرت الشرطة عنه وان له إبن من زوجته الأولى قد تركته عند خالته ..فقد كانت حاملاً في شهرها السابع بقيت معنا شهرين كاملين كانت كإبنة لنا . ..
.أحبتها خوخة كثيراً ..ثم وضعت مولودها وبعد أسبوع تقريباً ..خرجت كعادتي لإحضار بعض الأعشاب التي احتاجها في علاج بعض المرضى

..إذ به علم عن مكانها .. فدق الباب فتحت معتقدة انه انا او احد المرضى فهي كانت تساعدني مقابل بعض المال .طعمها عدة طعنات ..خوخة رأته يطعنها و رأت وجهه جيداً، لما رأت أن تلك الفتاة قد سقطت ..حاول الدخول لكنها سميرة مسكته من قدمه وصرخت عن خوخة خذي ابنتي و أركضي ..حملت خوخة الطفلة ولحقت بي هنا في قمة الجبل ..تركتها هنا وعدت للبيت وجدتها غارقة في دمها و البيت محطم حاولت انقذاها لكنها كانت لحظاتها الأخيرة في هاته الحياة البائسة

تنهد سالم مرة أخرى محاولا لم طاقته لإكمال القصة لأمير الذي راح منسجماً معه . كان أمير يومئ برأسه لسالم لموافقته في كلامه مبينا له انه يحسن الاصغاء.
سالم وهو متحسر مكملا القصة.
" وجدتها تلفظ كلماتها الأخيرة جعلتني اعدها أن اعتني بمولودتها جيداً..إنها أصبحت الآن تلك الفتاة الهادئة الضاحكة المبتسمة ..لكن بعد أن احترق البيت و مات لولو و خسرنا صدر البيت .
خوخة هي أم مريم و صديقتها و كل شيء بالنسبة لمريم
إني ألاحظ حزنها ..
.كان سالم يروي الكلمات جالساً على الأرض واضعا تحته بعض القش فالأرض مبللة بسبب الأمطار و الثلوج التي سبق أن سقطت .. ماسكا بين يديه بعض القشات يكسرها و يرميها ثم يعود ليحمل اخرى وهكذا، أما أمير صاحب العين اللامعة مع أشعة الشمس التي تتراقص مع السحب العابرة، كان قد جثى على ركبتيه مازال يرتدي قميص مريم الذي احاكته لها خوخة القميص الأزرق الذي تتغلله فراشة زهرية .
كانا جالسين بين بعض شجيرات البلوط و الصفصاف العالية التي عانت هي أيضا من قهر الشتاء القاسي على اغصانها البنية .
يبعد البيت عنهم بعشرين مترا تقريباً ليس ببيت بل هي غرفة صغيرة سقفها من أغصان الأشجار و قطع البلاستيك الكبيرة موضوعة على حوافها الحجارة و الرمال حتى لا يأخذها الريح او العواصف الثلجية ..
_ خرجت مريم تسحب البقرة خارج تلك الغرفة او كما يقال عنها الحضيرة .وقف سالم و أمير و إتجها إلى مريم التي اسقطت عيناها خجلاً من أمير فهي لم تعد تراه مجرد شاب مصاب و سيتركهم في أي لحظة ..بل راحت تعامله كالعاشق الذي يدفن مشاعره وراء خجله وتوتره ..أمير ماذا هناك يا مريم ؟
متعجباً من مريم تسحب البقرة و مستعدة المغادرة ..لم تبح مريم بكلمة ..رد سالم ..يا ولدي لقد خرب بيتي و ماتت زوجتي فقدنا كل شيء كيف لنا أن نبقى هنا في الخلاء على هذه القمة الصعبة و أنا اصبحت طاعنا في السن

يجب أن نعود لأهل الضيعة فقد غبنا عشرين عاماً..هذا كافي..فقد أخفيت مريم خوفاً عليها من والدها المتوحش حان وقت العودة يا ولدي "
بعد هذا الكلام الصائب لم يبح أمير بكلمة، حرك رأسه موافقا ..
إتجهوا نحو الريف .. مع الطريق التي كان سالم قد أبعد عنها الحجر بعد جولاته الطويلة بين القمة و الضيعة .. مريم تسحب البقرة ليلى وهي تفكر في كل الذكرى التي عاشتها هناك مع كل خطوة تتناثر دموعها كان أمير يمشي ورائهم وسالم وضعا يداه خلف ضهره مفكرا في كيف ستكون حياته الجديدة، الشمس كانت قد بدأت تودع السماء ببطء قاربت الساعة ثالثة مساء ..بدأ البرد يشتد نظر سالم للخلف ليرى أمير شارد الذهن في مريم .

_ سامحني يا بني لم أعالج جروحك منذ يومين تقريبا كما رأيت فكل شيء قد كان سريع .. آسف يا ولدي ..بعد وهلة قال أمير : لا . لا بأس فجراحي قد أشفاها قميص مريم الذي البسته لي ..ابتسم سالم ..أتمنى ذلك يا بني ..شعر سالم أنه وجد شابا سيحمي مريم أن حدث له شيء
..وبينما هما يتكلمان حتى انزلق قدم مريم وإلتوى كاحلها .. صرخت : جدي قدمي
..ركض أمير نحوها وتفقد قدمها ثم صرخ : ما بكي أيتها الحمقاء أليس لكي عينان كبيرتان .
.مريم فمنذ مدة أي منذ بلوغها سن العشرين لم يصرخ احدا عليها نظر لها عرف أنها كانت تبكي طوال الرحلة ..مسح دمعاتها قال بصوت خافت : تبا لكي كم أنقهر عندما تسقط دمعتاكي ..تركت الحبل من يدها فألم قدمها جبرها على وضع كلتا يديها على كاحلها كان حذائها المصنوع من البلاستيك بلونه البنفسجي قد تمزق فهو قديم ولم يعد يقوى على تحمل الطين أو الأمطار
.حملها أمير متناسيا جراحه التي كانت تنزف تحت القميص ..فبنيته القوية جعلت مريم بين يديه كقطعة حلوة بين شفتاه

مسك سالم الحبل وراح يجر البقرة ويبتسم ..فقد رأى الحب بعيني أمير لمريم ..تقدم سالم بسحب البقرة وكانت مريم بين أحضان أمير حاملها بين يديه ينظر إليها
لم يرغب سالم بحمل أمير لمريم، فهي كحفيدة له .. و قد علمها أصول الأدب و الحياء ... لكن مع عدم القدرة على المشي بسبب كاحلها.. وعجز سالم عن حملها فهو كبير بالسن ... أمير مسكها بيديه .. تارة يتجاهل الموقف .. وتارة يغوص في ملامحها..

بشرتها الناعمة الطرية وشفتاها اللتين توردتا اكثر من شدة نسيم المساء ..وشاحها الأسود القديم الذي زينت حوافه بخيوط تتدلى منه بلونها الأحمر ..ورموشها التي تغلغل بينها دفء دقات قلب أمير..مريم كانت واضعة يدها اليسرى حول عنق أمير ويدها اليمنى بجانب قلبه أحست بدقاته فأغمضت عيناها الواسعتان تتمنى أن لا تمر اللحظة ..فبالرغم من الألم إلا أن نبضاته اعادت لقلبها الحياة

وصلوا بإحدى البيوت التي ألبست حجارتها بلون أبيض جميل وزين سطحها الشكل المنحني من الحواف بلون القرميد الأحمر الآجوري العذب، الأبواب الخشبية التي تشبه قطع الشوكولا السويسرية، أنزل أمير مريم، لم تكد الوقوف من ألم كاحلها .. دق سالم الباب ففتح له رجل خمسيني أشيب الرأس هزيل يزين وجهه المكدد شارب فضي .. لابسا ملابس شتوية وكما يقال في الجزائر القشابية .. التي نسجت من أجود أنواع الصوف الأبيض .

_ السلام عليكم .

_ السلام والرحمة والمغفرة، نعم يا أخي ماذا تحتاج ؟

رد سالم بتعب : هل يوجد هنا بيت للإيجار ؟؟..فكما ترى الليل يوشك على النزول و نحن قطعنا مسافة .

دقق الرجل النظر جيداً في سالم ثم رفع حاجباه مستغرباً و قال : أأنت طبيب الأعشاب سالم ؟

أحس سالم بشعور جيد قليلا :

_ نعم، أنا هو بلحمه و شحمه.

_ أهلاً بك يا سالم .

خرج من الباب و أغلقه جيداً.

ثم قال : هيا إلحقوا بي سوف أدلكم على بيت للإيجار .

_ بعد المشي للحظات، كلما مشوا زادت أعداد البيوت التي تشبه بعضها، وزاد عدد الحضيرات و الأبقار التي يوجهها رعيها الخاص مع العدد الكبير للأغنام.كانت مريم تمشي ببطء، مسك أمير يدها محاولا مساعدتها إلا أنها خجلت قليلاً فسحبت يدها .. كان أمير هاديء مثل البحر في ليلة السمر .. لا يعلم ما يقول ولا ما يفعل فقط يمشي وراء سالم الذي انسجم مع الرجل يتكلمون عن الطب بالأعشاب ..

_ عندما وصلوا أراهم البيت، فهو البيت الوحيد المتوفر حاليا .قطع قرميد قد سقطت منه تاركاً فراغاً يشبه فراغ خيبة الأمل من أقرب الناس ..يمر منها المطر إذا نزل .. بيت به ثلاثة غرف فقط .. غرفتا نوم و مطبخ و بين الغرف مساحة واسعة قليلا بها نافذة كأنها تستعمل بدل قاعة الجلوس .. النافذة التي بقاعة الجلوس زجاجها محطم، و إحدى

شبابيكها الخشبية قد فقد برغي ولم يبقى إلا برغي واحد يحملها .. كانت مائلة ولا تغلق يغلق طرف واحد فقط .الباب أيضا لا يغلق.
فقد كسر القفل كأن فرنسا قد دخلت قوة عليه محطمتاً إياه ..بعد أن سمعوا كريم بيطاط او مصطفى بن بولعيد داخله ..لكن لم يكن كذلك فالسنين الطويلة هي من فعلت فعلتها بيه .. أما طلاء الجدران من الداخل فقد ذهب لونها الأبيض الجميل و أصبح بلون أبيض مصفر قليلاً، وسقطت بشكل قشور تشبه قشور البرتقال الجافة ..يبدو أنه محمل بذكرى ناس عاشوا به ولم يبقى فيه إلا صداهم و فرحهم وحزنهم ..

_ دخل سالم بخطى هادئة بهدوء البيت، فنظر إلى الأرضية فرأى بها قطع الطوب و الخشب التي سقطت من على السقف .. الباب تحركه الرياح الباردة التي اشتدت قساوتها مع سقوط المساء شيئاً فشيء.. محدثا صوتا يشبه أنين إمرأة طاعنة فقدت إبنها في إحدى خنادق جرجرة أيام الاحتلال.
غادر الرجل عائدا لبيته بعد أن قبل سالم المكوث بالبيت دخلت مريم التي لم تجرأ على قول كلمة فهي تعلم ظروف حالها و حال سالم..
أمير لم يتفوه بكلمة هو الآخر فقد جلس بإحدى الركنيات مكلما نفسه ..لم اتوقع يوما ان اجلس في هكذا مكان .. او آكل بعض الأكل مثل ما اكلت ببيت سالم، لا أعلم هل أحب هكذا حياة بعيدا عن صخب المدينة و حياة الرفاه .. مع وجود كل الأعداء الذين حاولوا قتلي .. هل أعود و أساعد سالم و مريم ..يالله ماذا أفعل ..سامحني يالله فقد كنت أتلاعب بقلوب البنات و شربت الخمر و لعبت القمار.. يالله إن فقدان أبي جعلني أنحرف فهو لم يعد يحميني ويدلني على طريق الصواب وفقدان أمي ما حدث بعده علمني الكثير .. ماذا أفعل يارب .
صامتاً جالساً على الأرض التي إختفت قطع البلاط المرصوصة بطبقة تربة .. بسبب الرياح و الأمطار التي تتسرب من الفتحة التي على السطح

مريم تقدمت بخطى فاشلة وجلست بجانب سالم الذي هو أيضاً كان قد غلب عليه التعب يفكر كيف يغير الحال للأفضل.. وضعت مريم يدها على كتف سالم :

_ جدي، أنت تفكر ببيع البقرة صح ؟؟
_ نعم يا بنيتي، أريد أن أشتري لكي حذاء و ملابس و أفرشة فإني أخاف عليكي يا سكرتي ..
ابتسمت وأومأت بالقبول ... يمكنك بيعها فليلى صديقتي الغالية و لكنك أنت أغلى يا جدي .. أعلم

أنك خائف عني .. وتخشى أن تصدمني بأنك ستبيع ليلى ..سأصبر فقد خسرت خوخة و حتى جروي لولو..
أنحت رأسها محاولة إخفاء غيمة الدمع التي تشكلت من تبخر مشاعرها النازفة.. حاولت التفلت من نظرات سالم لها ..رفعت رأسها محاولة تكسير الحزن بحجارة صلبة من صبرها و مقاومتها للألم الذي لا يعلمه إلا خالقها.ثم ابتسمت ..فأشرقت ابتسامتها كشمس الربيع بعد شتاء حزين و هادئ..
خرج سالم و أخذ البقرة لبيعها .. بقيت مريم جالسة في إحدى زوايا البيت ..بقي أمير يقابلها هو الآخر متكئ على جدار مقابل لمريم .رأته غارقاً في تفكيره و حزين ،
تحسس قلبها اللطيف تلك الجروح التي تعادل جروح قلبها ..لم تعلم ما تفعله له .. سوى أنها نظرت إليه و إبتسمت ... فرد لها ما رسمته شفتاها العذبتين .. كعسل مصفى يرغب في تذوقه بحلال ..فقد يئس من ذوق المرار الحرام ..راحت عيناهما تعطي اشارات نارية تحرق قلب الاخر .. فكلاهما يرغب في الركض نحو الآخر و ضمه و السقوط شهيدا بين أحضان المعشوق ..
كان أمير لا يريد ان يبعد عيناه عنها، فمع صوت الرياح و ضربات شباك النافذة المكسور، إلا أنه أحس بهدوء في قلبه ..تحركت شفتاه .. و أخيراً نطق بحرف ..
_ مريم أريد منكي أن تعطيني شيئاً، كذكرى منكي إن إفترقنا ..
_ (وهي حائرة و خائفة من مواجهة واقعة أنه سيرحل يوماً.)
استغادرنا ؟
كلمة كفيلة بأن تشرح له أنها أسيرة له، و أنها لا ترغب في بعده أبداً..
_ أريد أن أحتفظ بقميصك الأزرق هذا الذي ألبسه .
_ انه غالي عني فهو اخر ذكرى من خوخة ... انه لك !.

هذه الكلمات أعلنت بها مريم حبها و مشاعرها الدفينة، كأنها روما القديمة تعلن استسلامها ..
لكن أمير حاول أن لا يفهم الأمر كما هو واضح .. خوفاً و خشية على مريم و جدها .

عاد ذلك الطاعن بالسن الذي طالما حافظ على صحته لكن فقدان نصفه الآخر قد بدأت علامات التعب و تغلب الكبر عليه..صحيح أنه رجل مؤمن بأن قضاء الله هو الأول و الأخير ..لكن الفراق ليس بهين.. فالفراق يهدم شباب العمر وما أدراك برجل ستيني يكاد يبلغ السبعين .
دخل بخطوات تحمل تباشير الفرح و الحزن على فقدان البقرة التي طالما تعلقت بها تلك التي لم تعرف يوماً من هو والدها ولا من هو أصلها الحقيقي ..جل ما تعرف هو سالم و خوخة ..
_ مريم بنيتي لقد عدت .
وقفت مريم بعد أن إتكأت على الحائط الذي يقابل الباب كان أمير جالساً هو أيضاً على جدار الغرفة الاولى في البيت بجانب الباب..
دخل سالم يحمل معه أغراض و أفرشة ..
_ أعطى سالم فراشاً وغطاء لمريم ..و لأمير أيضاً ..جلس سالم و قال لمريم أن تجلس بجانبه، ففعلت، ثم أمر أمير بالجلوس أيضاً ففعل ..
وضع بعض أكياس الطعام التي بها .. سندويتشات البطاطا التي وضعت عليها بعض الفلافل و المايوناز.
ووضع أمامهم قارورة الماء .
بادئاً بكلمة بسم الله.
_ بعد الوجبة الدافئة التي اشتراها سالم من محل صغير يقصده أهل الريف الذين لا يجدون وقتاً للعودة للبيت أو الطبخ ..أوى سالم لفراشه. مسطحاً مثل الطفل الصغير بعد جروح القلب و تعب الأيام القاسية .
_ حاولت مريم غلق النافذة .. لكنها لم تفلح بذلك .. ثم وضعت صخرة على الباب حتى لا يفتحه الريح بمنتصف الليل القاسي .. بدأت الأمطار تتساقط و كأنها تبكي على حالهم فزادتهم حالاً أسوأ.
نام الكل بغرفة واحدة لكن كل واحد بإتجاه ..وبجانب جدار معين ..

كانت الفتحة التي بالسطح تنهمر منها مياه الامطار، فتحول المكان الى طين فالبلاط كان قد غطى بتربة الأيام و الهجرة .
غفت مريم متذكرة ما مر على شبابها ..فسن العشرين أو بالأحرى عام العشرين عام لا يبشر بالخير ..فمنذ بلوغها العشرين عانت من الفقدان فقط

أمير وضع رأسه على فراشه و راح يفكر في ما علمته الأيام من دروس .. فمع الدلال الذي شهده منذ نعومة أظافره ...فطور على السرير غرفة كالأمير . سرير واسع بأرشفة بيضاء لامعة شفافة .. خزانة تحوي على أجود أنواع الألبسة، صندوق بها به كل الصور السياحية التي كان قد أخذها في أمريكا و فرنسا و سنغافورة...
و أمه التي توقظه بيداها خوفاً من أن يزعجه أحد العمال عندما يوقظه، كل تلك الذكرى، نزلت دمعته على خده الناعم الذي إكتسى بلحية سوداء زادت من وسامته
.أشرقت شمس الصباح و علت أصوات السكان .. هذا يأخذ بقرته و هذا ينادي صديقه للذهاب للعمل في مكان ما
...الأطفال يركضون ويحاولون القفز من فوق بركات الماء التي تملأ الشوارع الواسعة .. و الطين يعم المكان و كأنها ملحمة حدثت هنا.

استيقظت مريم نظرت فوجدت سالم قد تيمم و صلى وهو يسبح بأصابعه على فراشه فلا توجد عنده سجادة صلاة..
صباح الخير جدي سالم
صباح الخير سكرتي ..يوم جديد وحياة جديدة سأعرفك على الأماكن التي أعرفها فقط فأنا لا أعرف الريف جيداً. .. فقد أصبح أكبر بعد رحيلنا إلى قمة الجبل ..
_ حسن ..لكن أين أمير انا لا أراه
لا اعلم يا مريم .. ربما هو غادرنا و عاد لبيته..وقفت مريم وركضت نحو الخارج وراحت تركض مسرعة للبحث عنه .. تصرخ ما بين زاوايا البيوت أمير أمير أين أنت

ركضت لنصف ساعة تقريباً فأحست بتعب .. راحت تسأل الناس عنه ..اوقفت رجلا اربعيني ..
أخي ألم ترا شاب قوي البنية يرتدي قميص أزرق به فراشة وردية لامعة ..القميص من محاك يدوياً..؟
رد عليها : نعم يا بنيتي فأنا أعيش في هذا المنزل الذي يقابلنا .. قد دق عني في الصباح الباكر شاب وسيم يرتدي قميص أزرق كما وصفتي لكن لم أنتبه للفراشة.. فالضوء البيت فقط أمكنني من رؤيته ..قد إستعار هاتفي و إتصل بأحدهم ..فتكلم لمدة خمس دقائق.. ثم أعاد لي الهاتف .. بعد ساعة تقريباً سمعت صوت سيارة فقد كان جالساً عند بابي ..فألقيت نظرة من النافذة رأيت فتاة جميلة شعرها اشقر يبدو انها من المدينة .. نزلت و سلمت عليه وركبا وذهبا معاً.

نظرت مريم له و عيناه تكاد تدمع
.شكرا لك يا أخي جزاك الله خيرا..
لا .. العفو يا اختي ..
راح الرجل في سبيله فعادت مريم بخطوات الخيبة

دخلت على سالم الذي ارتمى على فراشه متكئا على احد جدران الغرفة الاولى المحاذية للباب، و غارق في تفكيره.. دخلت مريم و جلست و كانت علامات اليأس و الشجن الموقر بقلبها يظهر على عينيها اللتين كبحيرة جافة لكنها تسقط أمهر الغواصين، نظر لها سالم تردد في الكلام معها .. ثم قال : مريم صغيرتي، ماذا حدث معكي ؟
_ لقد غادر يا جدي، و تركنا .صمت سالم و لم يبح بكلمة اخرى سوى : الله كريم يا مريم .
_ كان أمير قد اتصل على صديقته خلود صاحبة الشعر الأشقر و العينين الخضرواتين طويلة القامة النحيفة قليلا .. و التي ترتدي ملابس قصيرة مع معطف الفرو الطويل... أخذته بسيارتها الفخمة من نوع مرسيدس بنز السوداء ..كان قد ركب
معها .. و إتجه إلى المدينة، في الطريق الطويل روى أمير كل ما حدث له ... فهي يده اليمنى و صديقته التي كانت حتى صديقة له في الفراش ..

مر اليوم كأن لم يكن .. فقد وصل أمير إلى قصره الخاص به و عالج الطبيب جراحه و آستحم من تلك الأتربة و الأمطار التي مرت عليه .. دخلت خلود عليه وجدته قد لبس لباسه الرسمي الأسود مع ربطة عنقه الحمراء التي أصبحت كزهرة جوهرية سحرية تلمع في ظلمات الشر ... غسل جسده و عالج جراحه لكن .. لكن هل يمكن أن ينظف قلبه الذي سيطرت على دقاته الأحرف الأربعة ..ميم و راء وياء و ميم .. جثى على ركبتيه عاشقا لها .. و إندمج صبح هواها في دجى عشقه..فأصبح مجنونا ليس بليلة بل بمريم التي تعيش بين البيوت و الأشجار العارية التي يوما ما ستصبح مثمرة
مسكت القميص الأزرق الذي زينته فراشة وردية لامعة كأنها قطع الحلوى في عالم سحري .. او ككوب زمردة.
حاولت رميه في السلة فنظر إليها نظرة ترعب الأسد في غابته و ترعب الثعبان في جحره.. كأن عيناه عينا الفهد .. وقبضته قبضة نمر من أدغال أفريقيا القاسية .. صرخت خلود : ما بك يا أمير؟ يدي ...يدي تؤلمني .

فأفلتت القميص ليسقط عند أقدام أمير الذي كان قد جلس على نهاية السرير مفكراً في مريم ..
حمل القميص بين أحضانه، و قال لها : خلود، هذا يخص مريم إياكي و لمسه .. أتسمعين .. لا تفكري حتى في وضع يداكي عنه ..بنبرة غضب شديدة .
_ حسناً عزيزي أمير، آسفة فإني لم اقصد .
فقط شفاهها هي من تتحرك فضميرها باق ساكن كالحجر لم تعني ما قالته بتاتاً، محاولة كسب أمير من جديد فقد فلت قلبه من بين يديها .
أحس أن القميص وصال الحب و العشق بينه و بين مريم .. كأن القميص إندمجت خيوطه الزرقاء مع شرايين قلبه .. ذلك الغطريف فقد أصبح ملك تلك الحسناء ابنة الريف .. فبالرغم من علاقاته الكثيرة إلا أنه أصبح سجين إمرأة من عالم بعيد كل البعد عن عالم المدينة و الزحمات.
رفع رأسه ونظر لها واقفة أمامه ثم قال : أريد عقد ندوة صحفية الآن، أومأت برأسها موافقة دون أي كلام، فهي تعلم أنه إذا تكلم بشكل رسمي فلا نزاع ولا حوار معه .
عقد الإجتماع وبقي أمير ماسكا القميص مفكراً بماذا سيقول و ماذا سيفعل . كانت الغرفة رغم كبرها ووجودها بالطابق الرابع من قصره الخاص إلا أنها هادئة فالنوافذ الضخمة بستائرها الطويلة من أجود أنواع الأقمشة اللامعة تتحرك بنسيم بارد .. جالسا على السرير الأبيض الذي تتمايل شراشيفه إذا مرت نسمة باردة تداعب شعر أمير ... طوى القميص و تلمسه متخيلاً عيناها الواسعتان التي أسقطته غريقا و جعلته غريباً، محاولا تخيل أن كل الأمور بخير و هي معه تمسك يداه، وضعه في الخزانة و إتجه نحو قاعة الضيوف بعد أن دق عليه أحد الخدم الباب و أخبره بوصول الوفد الإعلامي .
وقف أمير و عدل ربطة عنقه و أغلق زر سترته السوداء، إتجه بخطوات هادئة عم الهدوء أرجاء البيت وقف كل الخدم في البيت، طباخين و مسؤول عن جدول أعمال أمير، مدبرة المنزل و رئيس الحرس الشخصي .. بلغ عددهم أكثر من عشرة عمال .مع خطواته الواثقة الهادئة عم الصمت بالأعلى لا يسمع شيء إلا طقطقة حذاء أمير . مع كل زاوية في البيت يتذكر أمير أمه عندما كانت تأتي لتعيش معه بأيام

طوال، توقضه بلمسة يداها كما إعتادت أن تفعل منذ صغره، أحس بشوق وحنين لها و العودة لقصر أمه و أبيه .. القصر الذي إستولى عليه مسعود ذلك الرجل الغادر.
وصل أمير لقاعة الجلوس او يصح القول عنها باحة الجلوس، أخذ الصحافيين يلتقطون له صوراً، عم ضجيج الصحفيين، أحدهم يسأل اين كان، الآخر هل هاجرت، و اخر يطلب مقابلة على قناته تقدم الغطريف بخطاه الواثقة، ثم جلس على الكنبة البنية اللامعة، قاعة الجلوس واسعة بها أربع كنبيات طويلة تتوسطها طاولة من زجاج عليها مزهرية أزهار البابونج، بلاطها متراص مشكلا يشبه الخشب أحمر لامع كأنه نحت من قلب أشجار البلوط.. جهاز التلفاز الكبير الذي من نوع ألجي الكورية الفخمة مقاس الشاشة واحد و سبعون بوصة مجهز بتقنية HDMI, SCART

مع وجود تلك اللوحات الفنية لأشهر الرسامين الجزائريين و العالميين ، بدأ أمير يتكلم مخبرا إياهم انه ذهب الى احد الاقارب بعد أن شعر بالوحدة لوفاة امه ...
واكتفى بالابتسامة فقط .. ثم وقف تقدمت خلود ووقفت بجانبه و آلتقط الاعلاميين الصور لأمير .. ثم صعد أمير السلالم متجهاً نحو غرفته ...بقيت خلود مع الصحافة تصرح لهم أهم اخبار الشركة و الأسهم الخاصة بأمير فهي مديرة أعماله التي كانت تحمل دفترا تقرأ لهم منه بعض تطورات الشركة و انجازاتها..
عاد أمير لغرفته متعبا مشتاقا لمريم و كأنه يريد أن ينتقم من مسعود و مصطفى لينعم براحة البال فيعود لحبيبة قلبه مريم
مرت الليلة صعبة على مريم فقلبها أبى النوم و الهدوء، فقد أحست بنبضات قلب أمير الذي غفى بلباسه الرسمي على ذلك السرير الأبيض حاضناً قميصها بين يديه لعل حضنه يشعرها بالدفء في تلك الغرف الباردة ..فهو لم يستطع أن يعلن عن حبه لها ولم يستطع أن يأخذها معه خوفاً عليها من مسعود معتقدا ان الريف أأمن لها ..لكن هل مريم بأمان في الريف أم أنها افكار أمير فقط ؟؟
مرت السويعات البطيئة على قلوب العشاق الذين احترقوا شوقاً لقبلات و أحضان الحبيب ... و سريعة على من معه من ملك قلبه ..

بزغ الصبح مهللا بأصوات العصافير و زخات المطر التي تسقط تارة و تذهب تارة أخرى، كأنها عذراء ترش العطر من شباك بيتها على حبيبها ..انتشرت الصحف ليبلغ صيتها حتى الى الريف كان هناك العديد من الناس ملتفون ومرتصون كالبنيان المرصوص ..خرجت مريم برفقة جدها بعد أن اخبرها أنه يريد البحث عن عمل

فلم تشأ ان تتركه بمفرده .. حاول منعها لأنه ما زال يخاف عنها من أن يعود والدها للبحث عنها و قتلها ..تلك الذكرى السيئة رسخت في ذاكرة سالم ...

سمعت مريم مجموعة شباب يقرأون الجريدة، أمير عاد إلى بيته و أنه بخير .. بعض التمتمات التي سرقتها مسامع مريم، مشت بخطوات مسرعة للمحل الصغير الذي يبيع بعض التبغ و أعواد الكبريت و القداحات و الجرائد اخذت جريدة و نظرت للصور كان أمير واقفاً بجانب خلود .. اكتفت مريم بتلك الصورة التي حطمت قلبها الذي راح ضحية الحياة القاسية .. وضعت الجريدة، عادت لسالم بخطوات الخيبة مرة أخرى .. أحست أنه كل شيء إنتهى و لم يبقى من ذكراها إلا قميصها الازرق الذي غادر وهو يلبسه .. فربما قد رماه بعد أن لبس هذه الملابس .. هكذا راحت الأفكار تتهامس في مخيلتها ...

_ مابكي يا بنيتي ماذا يوجد في الجريدة ؟ (بنبرة خوف عليها بعد أن رأى وجهها تغير لونه)

ابتسمت كعادتها : لا شيء يا جدي هيا بنا لنسأل الناس عن عمل فنقود سعر البقرة لن يكفي لشراء بيت أو يكفي لنعيش به ..

_ معكي حق يا صغيرتي .. هيا بنا

بخطواتها الناعمة على وجه الأرض، التي غدت طيناً يغرق حذاء مريم الجديد . لم تبالي مريم بشيء سوى البقاء تمشي مفكرة، في شوقها لعيناه و ابتسامته .. شوقا لصوته الذي ترتاح لسماعه رغم الألم الذي كان يقطع شرايين قلبها البائس ... شوقا لرؤته جالساً أمامها يتغزل بها .. لم يبقى شئ سوى ذكرى و ستمضي كما مضت كل الذكريات...

بعد المشي و البحث عن عمل .. أرشدهم احد الرجال على بيت رجل يدعى سعيد، دق سالم الباب، خرج رجل قوي البنية أسمر يرتدي سروال جينز اسود مع معطف ازرق ..فطلب منه سالم أن يجد له عملاً..بينما مريم بقيت بعيدة عنهما بمسافة امتار ..

_ نعم، يوجد عمل اتمنى أن يكون بمقدورك ذلك، فأنت كبير بالسن ..

_ لا يا بني سأعمل بجهدي .. دله الرجل على مكان العمل في حضيرة الأبقار للتنظيف لها .. يداه التي طالما لامست الأعشاب وشفت الجراح ..ستحارب اليوم مجرفة و تحمل الاوساخ و فضلات الأبقار لكن الفقر إذا اشتد سيفعل صاحبه اي شيء حتى يكسب الحلال و يبتعد عن الحرام.

مرت ساعتين تقريباً .. كانت مريم تجمع أوساخ الأبقار و جدها يذهب ليرميها ..بينما جدها قد ذهب ليرمي ..دخل سعيد فوجد مريم تلك الحسناء تقوم بهذا عمل متعب حذائها غارقاً في بقايا القش و الفضلات .. إقترب منها و سألها من أنتي ؟

_ أنا حفيدة سالم الشيخ الذي يعمل عندك، لقد أتيت لأساعده .(بعد أن عم التوتر و الخوف و الخجل عليها، لكنها إعتقدت أنه مثل سالم بطيبة قلبه)

_ يا لكي من حلوة يا فتاة، كل الرجال يتمنون الإرتواء من شفتاكي الورديتان كزهر الربيع، لماذا تعملين بهذا العمل المقرف، تعالي معي سأجعلكي أميرة لي .

خافت مريم من كلماته و بدأت تتراجع خائفة منه، لكنه إزداد رغبة بها، فمن يستطيع الصمود أمام عينيها و شفتيها و تلك الخدود ...

دعست على نهاية فستانها من الخلف فسقطت بالأرض ثم راحت تصرخ و تزحف للوراء .. زاد من طغيانه .. ومن رغبته الخبيثة، لم يبالي لحالها ولا إلى جدها معتقداً أن المال سيحميه .. و سيوقع النساء في شباك أحضانه المقرفة ..المرأة كطفل صغير يخشى البقاء وحيداً عن من يحب، لكنه يبتعد في زاوية منفرداً، باكياً على أن يقبع في حضن من لا يحب.

بينما هو يتقدم بخطواته الخائنة، إذ بيد تمسكه من كتفه و تسحبه ليدور ثم توجه له لكمة على الانف سقط نازفاً.

قال من أنت وهو يرتعش على الأرض، ثم راح يركز على هيئة الرجل، رجل قوي البنية بشعر رمادي بلباس اسود رسمي بدون ربطة عنق.. إنه مسعود ..

_ ألا تعرفني ؟ أنا ملاك الموت، أيها الرجل الأبله .

ثم اومأ برأسه لرجاله فإنهموا عليه بالضرب المبرح.

مسك مريم من يدها، فراحت تصرخ أتركني ... أتركني ...، اخرج منديل ووضعه على فمها فسقطت مغمى عليها بين يديه حملها أحد رجاله و أدخلها السيارة ...عاد سالم إذ به يرى السيارات عند باب الحضيرة ..فرمى ما كان بيده من و سيلة حمل الوسخ .. وإتجه بخطوات سريعة .

مريم .... مريم ...

و ما إن دخل حتى مسكه رجال مسعود .. فرأى مسعود جالساً رجل و نصف بجانب سعيد الذي وجهه افسدت خرائطه وراح عجينة واحدة.
قائلاً : إياك و اللعب مع فرائسي .. فأنا عندي الغيرة على رهائني ..ثم وقف و نظر لسالم وغمز له ..
ارتعب سالم منه يظهر الشر على عينيه مشعاً

انطلقت السيارات آخذة معها سالم ومريم .. كانت مريم مغمى عليها، جالساً سالم بجانبها وضع رأسها على كتفه و يدمدم بآيات قرآنية فلأول مرة يرى مسعود في الواقع، بعد أن كان يظهر في التلفاز كشخص، يدعم الجمعيات الخيرية.. ورجل محترم ..كان رجلان يحيطان بهما ..جالسان على كلتا الجهتين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار

أحس أمير بشوق شديد لمريم بدون سابق إنذار لقلبه وعقله الذي ملكته تلك الفتاة أميرة الريف.
إستيقظ بعد سهره الليل مفكراً فيها منتظراً حلول الصباح وجد القميص مايزال بين أحضانه فقبله وضمه مرة أخرى متحسساً بقايا عطرها قبل أن تلبسه إياه .
قرر الذهاب إليها فهو لم يعد يتحمل البعد عنها أكثر .. كان قد خطط للإبتعاد عنها و أخذ حقه من زوج أمه الذي طغى بأفعاله .. لكن الحب و الشوق أخلطت أوراق أمير .. فلم يعد يبالي بشيء سوى الركض نحوها و ضمها بقوة بين يداه المشتعلتان نارًا للمس يداها و اللعب بخصلات شعرها الطويل .. ، لم يبالي بشيء سوى الذهاب إليها ..نادى إلى رئيس رجاله فهو الرجل المقرب له ... كصديق له ..
أمسك الهاتف ورن عليه .. ثم نزل أمير من سريره، و القميص بين يداها لم يستطع وضعه وتركه في البيت ..فتح الخزنة الخاصة به الواقعة خلف الخزانة الكبيرة، ووضعه و أغلقها ..
دق الباب فأذن أمير بالدخول .. دخل رئيس الحرس الذي يدعى محسن ..رجل قوي البنية عضلاته كقطع صخور من قمة جبال جرجرة ، أصلع الرأس ثلاثيني العمر، مرتديا لباس أسود رسمي و سماعات أذن لاسلكية و نظراته السوداء التي تعكس صورة أمير فيها ..
_ محسن أريدك أن تجهز اثنين من الرجال و نذهب لمكان بعيد قليلاً،
_ حااضر سيدي أمير .(سكت قليلاً ثم تكلم بتردد)
سيدي أريد سؤالك، منذ أن أتيت أنت إلى بيتك .. و طبيب العائلة بقي بالبيت ولم يغادر، هل أنت بخير ؟.
_ يا صديقي لا تخف أنا بخير . أنت تعلم أن مسعود معه مشاكل معي، و أنا قد إختفيت مدة أيام و لم تعرفوا عني أي خبر .. فقد غدرني الخائن و حاول قتلي ثم رماني رجاله، لولا غبائهم لما كنت الآن بخير ..
_ سيدي أمير ! أنا آسف لم اقم بواجبي لحمايتك .. آسف سيدي أعتقد أنه يحق لك طردي .
_ لا يا محسن فأنت صديق منذ خمس سنوات .. وأنت مدربي على السلاح .. و أنت كاتم أسراري ... إنسى.. فأنا حي وبخير الآن .. هيا يا صديقي جهز رجلان من رجالك سنذهب للمحل ثم نتجه إلى مكان ..

_ شكرا لك لأنك صفحت عني سيدي ..حاضر سأنفذ أمرك الآن ..و أعدك أني لن أترك احداً يؤذيك أبداً .
_ محسن قبل أن تخرج أريدك إخبارك بأمر ..
_ ما هو يا سيدي ؟.
_ متى ستنسى كلمة سيدي (رفع أمير حاجبه كأنه غاضب ثم قال له) المهم أريد أن أخبرك أن من أنقذني فتاة من الريف إسمها مريم .. فقد أحببتها يا محسن يا صديقي . لكني خائف عنها من مسعود أن يعلم بأمرها سيقتلها فقط ليدمرني .
_ سيدي سأتكفل بحمايتها أنا و الرجال ..
_ هيا جهز رجالك و نذهب .
_ حاضر

قاربت الساعة منتصف النهار ..وصل أمير و رجاله آلى الريف بعد أن إشترى لها و لسالم ملابس و أحذية و أكل متمنياً أن يخطبها و يتزوجها ...كيف لا وهي من ملكت قلبه .. نزل من السيارة مسرعاً ودق باب البيت الذي ترك مريم و سالم به .. فتح الباب .. كان البيت هادئاً .. دخل مسرعاً يناديها : مريم .. لقد عدت .. عمي سالم .. أين أنتم ..
دخل الغرف الثلاث ولم يجدهم نظر للنار كان مكانها رمادًا فقط .. كأن البيت مهجور منذ زمن ..خرج للبحث عنهم وراح يركض بين البيوت باحثاً عنهم ... متشوقاً لرؤية مريم ..
إلتقى بالرجل الذي أعاره الهاتف .
_ سيدي .. أتتذكرني ؟
_ نعم يا بني أهلا بك كيف حالك ؟
_ بخير الحمد لله .. أريد أن أسألك الفتاة و الشيخ طبيب الأعشاب .. اللذين يعيشان هنا أين أجدهما..
_ لقد رأيتم آخر مرة عند سعيد .
_ أين أجد بيتهم؟ .. دُلني أرجوك . فأنا لا أعرف المكان جيداً .
_ خذني بالسيارة يا بني فإن البيت بعيد ..سأدلك عليه ..فنحن أهل الريف نعرف بعضنا جيداً ..لا أعلم لما ذهبا إليه للعمل فهو رجل ماكر ..
_ ماذا ؟....يعملان ؟
_ نعم، ذهبا للبحث عن عمل .. أعتقد أنهما عنده الآن.
إنطلق أمير بسيارته وركب بجانبه صديقه محسن وفي الخلف ذلك الرجل الطيب .
وبعد المشي لعشرة دقائق أو ربع ساعة وصلوا للبيت المطلوب ..
دق أمير الباب، فخرجت إمرأة تحمل رضيعاً بين يديها ..
_ نعم . يا أخي ماذا تريد ؟
_ أختي أين زوجك ..ناديه .
_ حسن .
أغلقت المرأة الباب .. بقي أمير واقف عند الباب ينتظر ..الرجل إستأذن بالرحيل .. ثم غادر بعد أن شكره أمير .

كان رجال أمير ورائه واقفين لباس اسود و نظارات سوداء .. وسماعات كأنه موكب الرئيس ..
فتح الباب سعيد و الكدمات تعلوا وجهه ..لا يكاد يخطو خطواته من شدة الضرب الذي تعرض له ..
_ مرحبا ..من أنتم ؟
احتار أمير من حالة الرجل .
ثم سأله : مريم و سالم هل يعملان لديك ؟..أين هما؟
_ لا.. لا أعرفهما..عمن تتحدث ؟
_ أحقاً لا تعلم من هما ؟.
_ لا .. لا أعرفهما.
غضب أمير فالرجل أخبره أنهما ذهبا إليه للعمل .. وهو الآن ينكر أنه يعرفهما ... احمرت عينا أمير ..فأخرج سلاحه من خصره، ووضعه على رأس سعيد ..
صرخ سعيد خائفاً :
_ لا ... لا .. أرجوك .. يكفي ما تعرضت له من ضرب من رجال ذلك الرجل ..
سحب أمير السلاح إنصدم بقول الرجل و إعترافاته فأصبح الأمر واضح .. أراد التأكد فسأله : من هو ؟... كيف شكله ؟ .. أين مريم و سالم .. ماذا فعل بهما ؟
_ لقد ضربني هو ورجاله .. و خطفو الفتاة و الشيخ أيضاً .
دفعه أمير بعد أن أمسكه من قميصه .. وضع سلاحه بخصره ..أمر أمير محسن بأن يأمر الرجال بالقدوم فوراً ..فهو متجه نحو قصر والداه و الذي سيطر عليه مسعود و إبنه مصطفى ذلك الشاب الذي نسخة من أباه و كاتم أسراره و صديق أبيه ..

لحقت بأمير خمسة سيارات رباعية الدفع من نوع GMC Yukon بها عشرون رجلاً..
توقفت سيارة أمير عند باب قصر والداه .. توقفت السيرتين اللتين كانتا برفقته ...بعد لحظات قليلة لحقت السيارات الخمسة .. نزل أمير ..: مسعود .. مسعود ..أخرج أيها الجبان .. مشكلتك معي أنا و ليست مع مريم وجدها .. أخرج أيها الغدار ..
صارخاً بكلماته التي إخترقت مسمع مسعود بغرفته جالساً يحمل كأس الشمبانيا معتقداً نفسه أنه سيخلد في دنياه .. ناسياً .. كل قواعد دينه .. قاتل و سارق و شارب خمر .. كلها صفاته التي يخفيها عن الملأ .. يظهر للناس أنه رجل ناجح و رجل جمعيات خيرية و مساند الفقراء و الأيتام..
كان إبنه واقفاً يطل من على النافذة يحمل هو الآخر كأساً ويبتسم ..
وضع مصطفى الكأس و نزل للأسفل و أمر رجاله بالنزول معه لقتل أمير..
أمير بعصبيته المعتادة لم يحتمل ذلك الصمت من رجال مسعود و مسعود .
ركب سيارته و تراجع لمسافة أمتار، ثم ضغط على البنزين .. و إصطدم بالبوابة .. فسقطت جاثية تحت عجلات السيارة .. دخلت سيارات رجاله لغزو الحدية الكبيرة التي بها ألوان مختلفة من الأزهار تتوسطها نافورة بشكل دولفين ..بيت ضخم مثل القصور التي في أفلام ديزني فقط ..بعد نزول مصطفى بدأ بإطلاق النار على أمير و رجاله، فلم يقف أمير مكتوف اليدين .. راح يطلق النار من نافدة السيارة ..أصوات تحطم زجاج النوافذ بالبيت و زجاج السيارات..نزل أمير من سيارته وهو يطلق النار لحق به محسن و رجاله راحت الرصاصات تتطاير بينهما ..مثل أوراق الخريف التي هب عليها ريح صرصر حملها بين طياته إلى مئواها الأخير .. إختبأ أمير خلف نحتتة الدولفين وراح يملأ ذخيرته ..ليعيد الهجوم مرة أخرى . صرخ أمير لمحسن : محسن إحمي ضهري أنت و الرجال .
محسن كان هو أيضاً يحمي جسمه من الطلقات خلف سيارة أمير التي كانت قريبة من مكان أمير أي بجانب نحتتة الدولفين ... بدأ محسن يكثف في إطلاق النار آمراً الرجال بحماية أمير حتى تتسنى له الفرصة

للدخول للقصر .. كان رجال مسعود يتساقطون كالذباب .. بقي القليل منهم فقط برفقة مصطفى ذلك الشاب القصير، بنيته قوية يرتدي معطفاً أصفر و سروالا أحمر فاقع .. ماسكاً شعره الطويل .. شمر على ساعديه، كان الوشم يملأهما .. رجل عصابة بمعنى الكلمة

أُفلت أمير عن أنظارهم و دخل للقصر .. كان قد رآه مصطفى ترك رجاله خلفه يتبادلون الرصاص مع رجال أمير .. ولحق بعدوه منذ الصغر ..لطالما نافس مصطفى أمير .. في كل شيء .. حتى عن خلود التي لم تلتفت يوماً له بل راحت تركض وراء أمير و ثروته ...فهل هذة دوافعها حقاً ؟

أراد مصطفى إطلاق النار على أمير من الخلف لكن المسدس لم تبقى به ذخيرة .. فإرتمى على أمير وراحا يلتفان حول بعضهما، سقط السلاح من يد أمير ..

بدأ مصطفى يلطم أمير على وجهه .. لكن أمير تصدى له ثم وجه له لكمة اغمته .. وقف أمير و أغلق معطفه الأسود و فتح أصابعه و مسد شعره إلى الوراء محافظاً على تسريحته .. العصبية و الغرور و الهدوء .. رجل غريب .. حمل السلاح و صعد للأعلى يركض .. راح يصرخ مريم .. مريم ...مسعود إن لمست شعرة من رأسها سأقتلك سأسلخ جلدك من على جسمك

علم مسعود أن أمير قد دخل ..فهو يعلم جيداً مع من يلعب .. أسد جارح لا يهاب الموت إذا أحب ولا يستسلم لأعدائه .. نجم ثاقب يمر ليمزق بطن الظلام في عزه .. لا يخاف لا يفشل ... إذا أراد عمل و إن فشل أعاد الكرة ..وقف من كرسي مكتبه و إتجه نحو مريم التي ربطت على كرسي ووضع شريط لاصق على فمها .. فحتى سالم أيضًا كان يشبه حالها، إتجه أمير إلى مكتب مسعود فهو يعلم أنه المكان الوحيد الذي يعشق فيه مسعود التخطيط أو القتل أو التدرب على رمي السكاكين .. مكتب واسع به مكتبة صغيرة تحوي كتب الفنون .. و الأساطير المرعبة .. علق على الجدران مجموعة م رؤوس الحيوان المحنطة ... نافذة كبيرة بها شراشيف سوداء مطلة على الحديقة و الباب الرئيسي للقصر ..

ضرب أمير الباب بقدمه فإختل قليلاً، أخرج أمير المسدس و أطلق النار على القفل ثم دفعه بقدمه ليفتح الباب على مصرعيه ..وجد مسعود واقف وراء مريم المكبلة.. ابتسم مسعود و أشار بعينيه لأمير جهة رقبة مريم التي يغطيها الوشاح الذي يغطي رأسها (الخمار) نظر أمير فوجد السكين الذي طعن به مرة .. السكين ذاته على رقبة حبيبته .. نظرت مريم إلى أمير علت الفرحة على عيناها أدركت أن قلب حبيبها ملكاً لها دخوله كأشعة الشمس في الشتاء تطمئن القلوب و تعيد الحياة، تلك المشاعر بحضور حبيبك لأجلك مشاعر لا يعرفها إلا من تجرع من كأس الحب و الألم و الشوق، بعد أن ظنت أنه لن يعود ليقتحم الخطر فداءاً لعينيها .

أما سالم فقد تفاجئ بقدوم أمير و أدرك أن أمير عصفور في قفص حب مريم .
صرخ مسعود عن أمير : إياك و أن تقترب، ضع السلاح في الأرض قبل أن أقطع وريد رقبتها .
وضع أمير السلاح ورفع يداه ثم قال : مسعود أنت لا ترغب في قتلها إنها بريئة .. مشكلتك معي أنا ..فما دخلها ؟.
قطع مسعود الحبال عن مريم و جرها نحو الوراء بإتجاه النافذة ثم دفع برجله الكرسي الذي به سالم فسقط سالم أرضاً .
راح يجر مريم للخلف حتى توقف عند النافذة إقترب أمير نحو سالم وفك قيود

يديه و رجليه ..نزع سالم الشريط و قال : يا بني لا تؤذيها أرجوك فهي جل ما أملك إنها طفلتي ..
واضعاً مسعود السكين عند رقبتها .. ثم أراد أن يحرق دم أمير وضع يده على و شاحها و نزعه فتدل شعرها الطويل على كتفيها . ورمى الوشاح الأسود في الهواء، صرخ أمير : أيها النذل كيف تجرؤ تقدم أمير بخطوتين، رفع مسعود السكين ووضعه على رقبتها أكثر أبعد لها شعرها من على كتفها ووضع السكين الحاد لينحرها ...إنقطعت القلادة و سقطت عند قدمي مسعود نظر لها فوجدها قلادة السكين التي صنعها بيداه ...سقط السكين من يديه و جثى عن ركبتيه وحملها، ضمها بين يديه وراح يدقق النظر فيها، مريم ركضت نحو أمير فضمته و بدأت تبكي على صدره خائفة، ضمها أمير بقوة و بدأ يطمئنها :
_ أنا آسف يا أميرة قلبي لم أقصد أن أتركك، لقد خفت عليكي ..
_ إنك غبي لقد إعتقدت أني لن أراك مجدداً .
ثم تقدم سالم نحوها وضمها أيضاً، بقي مسعود بالأرض يبكي على القلادة لم يفهم أحداً الأمر تقدمت مريم نحوه بعد أن أعاد حضن أمير الحياة لها .. سألته : مسعود ما قصتك مع قلادة أمي أتركها .. خطفتها من يده ..
_ نظر مسعود لها بنظرات الحزن و الأسى ثم قال : أنتي إبنة سميرة أليس كذلك ؟ (بصوت باكي مرتعش، خائف و متحطم)

_ إنها أمي ... من أنت ؟ (بنبرة خوف و حيرة)
_ أنتي إذن إبنتي التي هربت وهي حامل بكي .. آسف .. آسف
بدأ مسعود بالبكاء ندماً على قتله لحبيبته و زوجته سميرة، فقد أدرك أنه كان على وشك قتل إبنته التي بحث عنها في دور الأيتام و بين الأرياف، ليعوض عن حب سميرة .. علمت مريم أنه هو والدها الذي قتل لها أمها قبل عشرين عاماً ..إندهش أمير و سالم من الموقف، ثم دخل مصطفى وهو ماسكاً رأسه بعد أن أغمي عليه من ضربة أمير التي سببت له ضربة قوية بعد أن إصطدم رأسه بالبلاط ..
سائلاً أباه : أبي مابك .. لم لم تقتلها ..
جثى عن ركبتيه هو الآخر بجانب والده ..نظر إليه مسعود و قال : أتتذكر القصة التي أخبرتك عنها و أن لك أخت تكبرها بست سنوات .. إ .. إ...إنها مريم هذه الفتاة التي كدت أن أنحرها بيداي .

بدأ يبكي، إنصدم مصطفى فأخته هي الفتاة التي أراد أن يراها ميتة ..فهي نفسها الفتاة التي بحث عنها بين ديار الأيتام و حتى المشردين...وقف و إتجه بخطوات هادئة وضمها قائلاً
_ أختي الحبيبة، آسف .. آسف .
مريم بطبعها طيبة القلب و مسامحة رفعت يداها وضمته قالت له : أسامحك يا أخي فأنت لم تكن تعلم .. أتمنى أن تتغير للأفضل..

دخلت خلود راكضة نادت مسعود، نظرت فوجدت مريم تضم أخاها ومسعود جالس على الأرض ... قالت : ماذا يحدث هنا ؟
نظر مسعود إليها .. أيتها العاهرة أنتي سبب كدت اليوم أن أقتل إبنتي .
تغير وجه خلود ..وتكلمت بصوت متقطع
_ أنا .و ما دخلي ..
_ أنتي السبب فأنتي من خطط لكل هذا بسبب سواد قلبك وحبك للإنتقام كدت أن أقتل إبنتي ... و أترك إبني وحيداً..نظر أمير لها وقال : أحقاً ما يقول يا خلود؟
أخرجت مسدساً من عيار 22

_ هاهاها هاهاها (ضاحكة بصوت عال) نعم أنا من خطط لكل شيء منذ البداية و هذا قبل عشرة سنوات عندما كان عمري ستة عشرة عاماً.
فقبل عشرون سنة ذهب أبي إلى صديق له في مركز الشرطة فأعجب بمسعود بعد أن تهجم على رجال الشرطة الذين إعتقلوه بسبب المخدرات بعد أن أوشت به زوجته وهربت .. أطلق أبي سراحه لكنه غادر ..قتل زوجته و عاد خائفاً فأواه أبي و أصبح العامل الوفي كالكلب عند أبي ... وبعدها أحضر إبنه مصطفى الذي هو من زوجته الأولى التي توفيت بسرطان، فأويناه أيضاً، لكن والدك يا أمير فاز بالصفقة مع إحدى الشركات التي لطالما أبي حلم بها فأصيب بسكتة قلبية ومات .. فقد وعدت نفسي أن أنتقم .. خططت للقائي بك كان عمرك ستة عشرة آنذاك .. ثم أمرت مسعود لقتل والدك .. فطعنه بالسكين ...لطالما أردت أن أراك مذعوراً و أراك ميتاً ...سأقتل حبيبتك قبل أن أقتلك ..
وجهت المسدس نحو مريم و وضعت إصبعها على الزناد ..
رفع مسعود السكين من الأرض و رماه في قلبها بالضبط ..سقطت مكانها ميتة .. أغلقت مريم عيناها وضمت أمير .. إقتحمت الشرطة المكان بعد سماع إطلاق النار .. و إعتقلوا الكل ..
وفي مركز الشرطة إعترف مسعود بكل شيء و سجل جرائمه هو و ابنه مصطفى.. أصدر القرار بالمؤبد لمسعود و مصطفى مدة خمسة عشرة سنة ...عندما أرادت الشرطة أخذهما للسجن اوقفتهم مريم فضمت والدها و أخيها ... همس لها مصطفى
_ سأخرج من السجن و أكون خالاً جيد أعدك يا أختي

..عادت مريم و أمير و سالم لبيت أمير ومرت الساعات ومريم ماسكة القلادة وتبكي عن كل ما ضاع من عمرها... كان أمير وسالم طوال الليل بجانبها . حضَّر الخدم العشاء وإتصل محسن بأمير فأخبه أن الرجال المصابين بخير .. أخذ أمير سالم إلى غرفة الضيوف و أمر الخادم بأن يوفر كل ما يطلبه ومسك مريم من يدها و أدخلها لغرفته ففتح الخزنة و أخرج القميص الأزرق ووضعه بين يديها
ثم قال لها:
_ مريم أنا أحبك، أحسست أن قميصك هو أنا و الفراشة هي أنتي مهما يحدث فأنتي بداخلي و جزء مني ..
أحست بدقات قلبها تخفق بسرعة و أحست بتوتر و فرح .. لم تعرف ما تفعله .. نظرت له و إكتفت بكلمة واحدة أخلطت عليه دنياه ..
_ أحبك .
ضمها بين يديه ثم خرج من الغرفة و قال لها :
من اليوم هذه غرفتك، عندي مفاجأة لكي غدا

و في الصباح إستيقظت مريم و نزلت إلى الأسفل حتى وجدت البيت مزين بالأزهار و فستان أبيض موضوع على الكنبة .. جلس أمير على ركبتيه ورفع الخاتم بيديه إلى مريم .. قال لها : مريم أنا أحبك هل تتزوجيني .. أعلم أن يوم البارحة كان صعب عليكي .. أرجوكي وافقي ..نظر سالم لها و أومأ برأسه .. ابتسمت له وقالت : أنا موافقة يا سيد أمير ...

بعد الزفاف إنتقلوا للعيش في القمة و بنى لها فلة في مكان كوخهم الذي إحترق .. و أعاد ليلى لها بعد أن إشتراها بضعف سعرها .. و أحضر لها جرو صغير بنوع جيرمان و أسماه لولو .

النهاية.